

مسرحيات عالمية

الشمس والقاح

«جسر آرت»

چورچ ثيوتوكا

ترجمة وتقديم

د. نعيم عطية

المسرح العالمي



١٤

مسرحيات عالية

جسر آرتا

ابو ثب

«الثمن الفاح»

تأليف: جورج ثوتوكا

ترجمة وتقديم: د. نعيم عطية

نصف شهرية

أقرتها اللجنة المسرح العالمي

المسرح العالمي
هيئة الإذاعة والمسرح والموسيقى
الدار القومية للطباعة والنشر
الثقافة والإرشاد القومي

١٥ أكتوبر ١٩٦٥

٧٤
جِپِرِي آرْتاس
أو
الثلثون الفنادج

TO YEPIRI TIS ARTAS

تأليف: چوچ ثیوتو کا

ترجمة: دکتر نورعظیم عطیه
وتقديم:

تقديم بقلم :
الدكتور محمد اسماعيل المرواني
مدير السلسلة

تخطيط دقيق

ليس من سياسة هذه السلسلة الدخول في مهاترات مع أحد . وقد خصصت مساحة « تقديم » فيها لمناقشة ما هو جدي ومفيد . وربما لاحظ القراء أن أكثر أعداد السلسلة صدرت حتى الآن بدون « تقديم » . ذلك لأن هذا الحيز لا يشغل إلا للضرورة .

وتثبت أرقام البيع التي نحرص على تتبعها واحترامها أن السلسلة تلاقى إقبالا شديداً عليها . ولكن صحب هذا الإقبال الشديد من القراء حملة من بعض الأقلام وكل ما أرجوه ألا تكون إحدى هاتين الظاهرتين سبباً في الأخرى . ونحن نفتح أعيننا وصدورنا لكل أنواع النقد ولكن نفضل منه النوع الذي يتحرى أصحابه الدقة ويكون في تقديمهم فائدة . ويؤسفنا أن عدداً من الذين أسهموا في الحملة قد أصيبوا بالمبالغة واندفعوا مع التهويل .

وهؤلاء لم ينسبوا إلى السلسلة تهاوناً في الترجمة أو في التقديم أو عجزاً في

مستوى الكتاب والمترجمين . الحمد لله . فما وجهوه من نقد يمكننا تلخيصه
في نقطتين : —

أولاً : نقص التخطيط ، وثانياً — وهو مترتب على أولاً — : — نشر
مسرحيات سبق نشرها ويقول أحد هؤلاء أن من بين ١٢ عدداً نشرتها مسرحيات
عالمية ستة مسرحيات سبق نشرها . ومن حق القارئ أن يعلم الحقيقة
بالتفصيل . فمن بين الأعداد ال ١٢ سبعة جديدة لنج وثلاثة : (القديسة
جون ، بلدتنا ، قطعة على نار) قد أعادت السلسلة ترجمتها . وواحدة
(رومولوس) نشرتها مجلة المسرح وأعادت السلسلة نشرها بإضافة « تقديم »
و « مقدمة » والعدد السادس وهو يضم مسرحيتي (القاعدة والاستثناء ، ومحاكمة
لو كولوس) نشرت مجلة المسرح إحداهما ونشرتها السلسلة مضافاً إليها المسرحية
الأخرى ومضافاً إليها مقدمة من أحسن ما كتب تعريفاً بمذهب الكاتب العبقري
برخت .

وفضلاً عن هذه المقدمات والإضافات فنشر المسرحية في كتاب يحفظه
القارئ ويرجع إليه عند الحاجة غير نشرها في مجلة تنسى في قطار . وفضلاً
عن هذا كله فنشر المسرحيات في كتب بعد نشرها الأول في صحف أو مجلات
تقليد معمول به في جميع أنحاء العالم .

وقبل أن أبين الأسباب التي جعلت السلسلة تعيد ترجمة المسرحيات
المذكورة أود أن أعرض على القارئ أرقام المرتبجات لي طرحها من ستة آلاف
نسخة لكل عدد فيكون باقي الطرح هو مبيعاتنا في مدة عرض تراوح بين
أسبوع وعشرة أيام فقط . ومنها يتضح أن السلسلة ، لكونها تملك حاسة
السوق ، فقد سجلت أرقاماً قياسية في تاريخ نشر الكتب العربية المسلسلة .

مسرحدات أعود	عدد المرآع	مسرحدات أعود	عدد المرآع
آرآمآها	من سآة آلاف	نشرها	من سآة آلاف

(١) القديسة جون لا مرآع (١) رومولوس ٣٠٠

(٢) بلدآنا ٢٥٠ (٢) الاسآآاء ٣٥٠

(٣) قطة على نار (لم آرد البباناآ بعد)

ومن المبادئ الآى نسير عليها وجوب إعاآة آرآمة الآآار الآالآة إذا
آهر بآرآمآها السابقة : —

(١) أآآاء فى الفهم .

(٢) قصور فى الآعببر .

(٣) نقص فى الآقآبم والآعببر .

(٤) قآم العهآ .

(٥) كل آة الآاآ مآآمة .

ومن آم كانت إعاآة آرآمة « القديسة جون » فإن آرآمآها السابقة الوحبآة
بقلم أآمآ زكى (لجنة الآالبف والآرآمة والنشر) آرآع إلى عام ١٩٣٨ . أى
قآ مضى على آرآمآها قرابة آلاثبن عامآ آم إن آرآمآها فى سلسلة مسرحدات
عالمبة قآ ضمت إليها مقآمة مؤلفها (جورج برنارآ شو) وغبى عن الببان أن
المقآمة فى آآآاآها عمل علمى آلبل .

ومن آنا أبطأ كانت إعاآآنا لآرآمة « بلدآنا » . ونآبل المعآرض — إذا
كان ما بزال فى إمآانه الآصول على نسخة منها — إلى « نبآة عن الطبعآ » ،

المنشورة في أول صفحة بها . وسوف يتضح له أن الترجمة القديمة عن أصل
والجديدة عن أصل آخر وبينهما فارق كبير في الزمن وفارق أكبر في المادة .
ناهيك عن مقدمة تبلغ خمسين صفحة بدلا من ثلاث صفحات في الترجمة
القديمة .

أما عن « قطة على نار » ففي « تقديمها » من الأسباب الحافزة على إعادة
ترجمتها ما يكفي لإقناع أى شخص خلا من الهوى ولم يعمه الغرض .

وسوف تعيد هذه السلسلة ترجمة الروائع التي شوهتها الترجمات السابقة .
فمثلا قد عهدت إلى الأستاذ يحيى حتى أن ينقل لها مسرحيات مولير تباعاً ،
وسوف يظهر في هذه السلسلة قريباً أثر خالد هو ترجمة الشاعر أحمد رامى
(لروميو وجولييت) وسوف نتابع نقل شكسبير كلما توفر لنا القادرون على
نقله إلى العربية دون إزهاق لروحه .

ومن خطة هذه السلسلة أيضاً أن تعيد نشر الترجمات القديمة التي احتلت
مكاناً عالياً في تراثنا المسرحى . ومن هنا كان ارتباطها مع الدكتور طه حسين
لإحياء مترجماته عن المسرح الفرنسى والإغريقى .

وإلى هذا كله أشار الدكتور محمد عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء
لشئون الثقافة والإرشاد القومى الذى أنشأ هذه السلسلة وأرساها على قواعدها .
وذلك في تقديمه لها بالعدد الأول .

والخطة العامة التي نلتزم بها تقسم أدب المسرح إلى قسمين : قديم وآخر
حديث ومعاصر وتخصص لكلٍ إثني عشر عدداً في السنة . أما الحديث والمعاصر
فلكى يقف القراء على آخر التطورات في المذاهب الفنية . وأما القديم ،

فلايماننا بأن الجديد لا يفهم إلا على ضوء القديم ، وخير المجددين في الفن وأقدرهم على التجديد هم الذين تعمقوا فهم القديم . أما أيها يظهر في السلسلة قبل أيها فذلك يتوقف إلى حد كبير على ظروف الكتاب والمترجمين والمراجعين . والمهم في نهاية العام أن لا يطغى قسط القديم على نصيب الحديث أو العكس . هذا هو التقسيم العددي .

أما خطتنا النوعية فتقضى بالعدل في تمثيل جميع الجنسيات التي أنتجت أدباً مسرحياً رائعاً ابتداء من اليونان القديمة إلى أمريكا اللاتينية . فإلى جانب المسرحيات الفرنسية والإنجليزية والأمريكية والألمانية والأسكندنافية والروسية والإيطالية تفسح السلسلة مجالا لمسرح أسبانيا التي تربطنا بها صلات وثيقة في التاريخ والأدب ، وفوق هذا وذلك القرب الشديد بيننا في مرحلة التطور الاجتماعي الحالية . ولعل القراء قد أحسوا هذا في العدد الماضي « مركب بلا صياد » . والمسرحية المنشورة في هذا العدد وهي عن اليونانية الحديثة دليل على أننا نسعى دائماً نحو توسيع مفهوم (المسرح العالمي) وارتباطنا مع بعض الأدباء لنقل نماذج جيدة من المسرح الهندي والصيني والياباني توسيع أكبر لهذا المفهوم ، ودليل أكثر على أننا نفهم أن العالمية ليست وقفاً على أوروبا الغربية .

ولن ننسى في هذا الزحام مسرحنا العربي ففيه من الآثار مالا ينجلها أن تظهر في مجلد واحد مع السيل الذي يهبط علينا من الغرب .

وإن نظرة واحدة إلى قوائم المسرحيات التي ظهرت في هذه السلسلة والتي تحت الطبع والتي تحت الترجمة المبينة في آخر هذا العدد لكفيلة بأن تقنع القارئ بأننا نجند خيرة الكتاب والمترجمين في خدمته .

أفبعد هذا يشك أحد في أن لدينا تخطيطاً ، بل تخطيطاً دقيقاً ؟

محمد اسماعيل الموافي

مقدمة بقلم المترجم

جورج نيوتوكا و « جسر آرتا »

المسرح اليوناني الحديث

يمكن أن يعتبر جريجورى كسينوبولوس Grégory Ksenopoulos الذى عرف بكتاباته القصصية أول الكتاب اليونانيين الذين استقوا موضوعات مسرحياتهم من الحياة الاجتماعية اليونانية المعاصرة لهم .

ولقد سجل كسينوبولوس فى كثير من مسرحياته — مثل « فوتينى ساندرى » و « ستيلافولاندى » (١٩٠٩) و « الملاك » و « الزواج » و « الابنة الوحيدة الحبيبة » (١٩١١) — صوراً دقيقة لعادات الأسرة الأثينية وأخلاقياتها .

وربما كان إخفاق مسرحية كسينوبولوس المبكرة « سر الكونتيسة فاليرياناس » هو الذى جعله يترك « المسرح الذهني » إلى « المسرح الاجتماعى » مقررأ أنه ما كان يريد المضى فى طريق مقفل بتقديم أعمال لا يحسها الجمهور ولا يتجاوب معها ، فلم يكن من المحبذين — على حد قوله — لمذهب « الفن للفن »

ثم بطالعنا تاريخ المسرح اليوناني الحديث بكاتب آخر هو سيروس ميلاس Spiros Mélas مؤلف « ابن الظلام » و « القميص الأحمر » و « البيت

الحرب « و » الحياة كلها ليلة واحدة « و » الأبيض والأسود « ، وهي مسرحيات تهدف من خلال أسلوب يجمع بين « الطبيعية » و « المثالية » إلى تجديد دعائم الأسرة اليونانية يبت فهم جديد في الروابط الاجتماعية والأخلاقية. أما بافلوس نيرفاناس Pavlos Nirvanas فقد كان كاتباً تسرى في مسرحياته صوفية وغموض تعوضان الكثير من النقص في بنيانها الدرامي . وربما كانت مسرحيته « المعمارى مارثاس » تقودنا إلى الجو الشعري الذى نلقاه في مسرحية « جسر آرتا » ولقد اعتقد « المعمارى مارثاس » أن باستطاعته أن يخنى نوائب الحياة وحقائقها المفجعة عن أحبابه محتفظاً بمعرفتها المؤسية لنفسه . ولقد أدخل الشاعران الكبيران نيقوس كازاندزاكيس Nicos Kasantsakis (فى مسرحياته « نيكيفور فوكاس » عام ١٩٢٧ و « يوليس » و « المسيح » عام ١٩٢٨) وانجيلوس سيكيليانوس Angelos SeKelianos (فى مسرحيته « أنشودة الورد » عام ١٩٣٢) - أدخلوا المسرحية الفلسفية المستوحاة من التاريخ .

وقد انصرف الكاتب المسرحى بانديليس هورن Pandélis Horne بعد أن تأثر بجوركى وإبسين إلى استلهام الأدب الشعبى اليونانى ، بل ووقف وقفة طويلة - قبل جورج ثيوتوكا - أمام أغنية « جسر آرتا » .

جورج ثيوتوكا

وجورج ثيوتوكا واحد من أشهر الأدباء اليونانيين المعاصرين . ولد ١٩٠٦ ودرس القانون والأدب بجامعة أثينا وباريس ولندن، واشتغل مديراً للمسرح القومى اليونانى ما بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٤٦ وعامى ١٩٥٠ و ١٩٥٢ . وقد ألف ثيوتوكا القصة والرواية والقصيدة والدراسة ، كما ألف المسرحية . وقام بعدة رحلات خارج وطنه . كما ترجمت أعماله إلى عدة لغات .

ومن أعماله الروائية « أرجو » عام ١٩٣٦ وقد ترجمت إلى الإنجليزية والسويدية ، و « الشيطان » عام ١٩٣٨ « وليونيس » عام ١٩٤٠ وترجمت إلى السويدية و « الطريق المقدس » عام ١٩٥٠ و « يورويديس بيندوزاليس » وهي مجموعة قصصية كتبها عام ١٩٣٧ .

ومن مقالاته « ساعات البطالة » عام ١٩٢٩ و « الروح الحر » عام ١٩٣١ و « المشكلة الاجتماعية » عام ١٩٣٢ و « على عتبة العصر الجديد » عام ١٩٤٥ و « مشكلات عصرنا » عام ١٩٥٦ .

وقد جدد ثيوتوكا في كتابة المقالة جاعلا منها تعبيراً عن رؤيته المباشرة ، مما تصبح معه المقالة وسطاً بين الخلق والنقد ، آخذة على عاتقها المضي قدماً بما هو مطلوب من ابرواية والقصة ، والامتداد إلى أفكار سيكلوجية وتفسيرات ذاتية تقصر عنها المقالة التقليدية الجامدة .

كما أصدر ثيوتوكا عام ١٩٤٤ ديوانه « قصائد منتصف الحرب » . ويعد ثيوتوكا من الكتاب الذين لا يحصرون أنفسهم في إطار بلده وحده ، بل يعتبر العالم كله وطناً له . ولذلك كان من ضمن الكتاب اليونانيين الذين يجاهدون دواما لإدراج الأدب القومي لبلاده في التراث العالمي .

وقد نشر ثيوتوكا مجموعتين من الأعمال المسرحية ، الأولى عام ١٩٤٤ والثانية عام ١٩٤٧ . ومن أشهر مسرحياته « ثمن الحرية » عام ١٩٥٨ ، « والكيفياديس » عام ١٩٥٩ و « الاعيب الحماقة والحكمة » وقد مثلت هذه المسرحيات بنجاح ، كما ترجمت كوميدته « لقاء في بنديلي » التي كتبها عام ١٩٥٨ إلى الفرنسية والانجليزية والسويدية والفنلندية . وفي عام ١٩٥٩ نشرت مسرحية ثيوتوكا الطويلة « الجذور الراسخة » تباعا في إحدى المجلات الأدبية بأثينا .

و « ثمن الحرية » مسرحية تدور أحداثها في سنوات الكفاح المرير الذى خاضته اليونان للتخلص من نير الاحتلال العثمانى .

أما « الكيفياديس » فهى بدورها مسرحية تاريخية تتألف من ثلاثة فصول وسبعة مشاهد . وقد طبعت وقدمت بأثينا عام ١٩٦٠ . واستقبلها النقاد بحماسة كبيرة .

ولم يعتمد ثيوتوكا فى هذه المسرحية إلى مجرد سرد حادثة تاريخية ، بل غاص فى نفسية البطل ليستجلى أعماقها الإنسانية .

ولم يعتمد فى مسرحيته على الحركة الملفتة للأنظار قدر اعتماده على التأثير الهادى الذى يسرى إلى قلوب المتفرجين بخطوات بطيئة محكمة واثقة . ولقد كانت شخصية الكيفياديس فى التاريخ شخصية محاطة بالغموض ، يتخلى عنه الجميع ، وتخذله الظروف ، فيقف بمفرده أمام الخطوب كصخرة عاتية .

ولم يعتمد ثيوتوكا إلى تصوير هذه الشخصية من زاوية واحدة ، هى زاوية بطولتها ، بل وضع فى اعتباره أن الأبطال بشر لهم بدورهم عيوبهم ومثاليهم . ولهذا جاء رسم ثيوتوكا لشخصية الكيفياديس – الذى سعى إلى توحيد أطراف الوطن اليونانى – رسماً مقنعاً ، لا اصطناع فيه ولا زيف ، فتبدو الشخصية متكاملة بمحاسنها ونقائصها . وأنت تحس أمام هذه الشخصية الوطنية التى قدر لها فى النهاية أن تتهم بالخيانة ، أنك لست أمام مجرد كلمات مكتوبة على الورق بل أمام إنسان فى كفاح شاق فى سبيل هدف . وهو فى سبيل ذلك الهدف يتعرض للمكاره والأخطار ويتحطم . وتسهم فى هذا التحطيم صفاته الشخصية ذاتها . ويعترف ثيوتوكا بأن بطلة الكيفياديس كانت له إلى جانب بطولته جوانب نقصه . وفى مقدمتها الغرور والأثرة التى خالطت حلمه الكبير الذى ظهر مبكراً

فى تاريخ اليونان وربما كان له الفضل بعد جيل من الزمان فى أن يلهب الحماسة فى قلب الإسكندر المقدونى .

وكان طبيعياً حتى يستجلى أعماق البطل والقيمة الإنسانية لكفاحه أن يلتقى الكاتب الضوء على الوسط المحيط به . ولقد خلص ثيوتوكا إلى عرض الكيفاديس — هذه الشخصية التاريخية الغامضة — عرض دارس يتخذ موقفاً إيجابياً من الموضوع الذى درسه .

ولا يظن القارىء أن هذه المسرحية ذات طابع محلى بحت . لا يهم إلا اليونانيين ، ولا يستهوى غيرهم ، بل هى فى الواقع عمل إنسانى يتعدى حدود الإقليمية ، ذلك أن المسرحية التاريخية متى عرضت عرضاً إنسانياً تتجاوز أبطالها حواجز المكان والزمان ، واستقرت شخوصهم فى قلوب البشر جميعاً .

وتدور مسرحية ثيوتوكا الأخيرة « الجذور الراسخة » فى جو اجتماعى قريب من الجوفى صعيدنا الذى عانى كثيراً من ظاهرة الثأر .

وفى « الجذور الراسخة » نجد فتاة قوية العزيمة ، تنقل لتعمل مدرسة فى بلدة ريفية يقتل فيها شاب فرداً من أسرة غريمة لأسرته . يختفى القاتل فى بيت تلك الفتاة ، وعندما يأتى ضابط البوليس للتفتيش بحثاً عن القاتل ترفض الفتاة أن تسمح بتفتيش بيتها لمجرد يقينها أنها ربما استطاعت باللين أن تطهر الفلأوب من نعمة الثأر . وهى بتصرفها هذا تثير حولها شبهات البوليس .

على أن الفتاة ما تلبث أن تقع فى حب الفنى القاتل . وتقرر الحرب معه من القرية ، ولا تصغى إلى نصائح ضابط البوليس الذى عهد إليه بتحقيق القضية وتعقب الجناة ، وهو ضابط شاب يكن للفتاة احتراماً ينم عن حب صامت فى قلبه . ويتخذ العاشقان العدة للهرب من البلدة . والخروج منها إلى حياة جديدة . لكن الماضى يقف لهما بالمرصاد . والاحقاد القديمة لا تنطفىء . ورحى الثأر

دائرة على الدوام ، فيقتل الشاب في آخر لحظة برصاصة من غريم مجهول لا بد أنه واحد من الأسرة المتتمة .

وهكذا تظل الفتاة موثقة القيد في القرية التي استشرت فيها نرعة الثأر ، تأكل شبابها وأهلها واحداً تلو الآخر . ونظل نتساءل هل كان الأجدى للفتاة ولحبها أن تسلم حبیبها إلى البوليس ، حتى تضع حداً لحلقة الثأر المفرغة ؟

مسرحية « جسر آرتا »

أما مسرحية ثيوتوكا « جسر آرتا » التي نقدمها على هذه الصفحات فقد كتبها عام ١٩٤٢ ونشرت عام ١٩٤٤ ومثلت للمرة الأولى في مدينة « آرتا » ذاتها باليونان في إبريل عام ١٩٤٦ ضمن سلسلة من المسرحيات قدمتها جمعية « سكوفاس » الأدبية . وقد ترجمت هذه المسرحية إلى السويدية والفرنسية والانجليزية والفنلندية وأذيعت من محطات أستكهلم ولندن (البرنامج الثالث) وهلسنكى .

وقوام هذه المسرحية أغنية شعبية يونانية تحكى أسطورة « بناء جسر آرتا » ومالابسه من توضحية . ولهذه الأسطورة أصداء في الأوساط الشعبية المختلفة ، إذ كانت العادة تجرى حتى في قرانا ومدائنا إلى أمد ليس بعيداً بأن يذبح زوجان من الدجاج في الأرض قبل أن ترسى فيها دعائم المبنى المراد تشييده . وقد اتخذ ثيوتوكا من تلك الأسطورة الشعبية أساساً لمسرحيته الحالية لينسج حول الأغنية المتداولة عملاً درامياً . ويمضى عازف العود في المسرحية — وهو راو من نوع خاص — فينشد أبيات الأغنية الشعبية ، بينما تجرى الأحداث الدرامية من حولها وكأصداء لها .

ويمكننا أن نمضى في استجلاء جوانب هذا العمل الدرامى الأخاذ من خلال

استعراض شخصياته ، وموقف كل منهما وعلاقتها بالشخصيات الأخرى من ناحية ، وبنیان العمل ككل من ناحية أخرى .

رئيس البنائين :

رئيس البنائين فى محنة . أضحت نظرتة صلبة ، وأمسى وجهه جامداً كأنه قد من الحجارة التى يعمل فيها . كل مافيه من روح وحياة قد تحجرت .

ما الخطب ؟ نسمع فى بداية المسرحية الأجراس تمزق سكون الليل . إنه الجسر الذى يشيده رئيس البنائين — جسر آرتا — انهدم للمرة الثالثة .

إنه لنحس كبير . ما من أحد يعرف ما الذى يحدث . رئيس البنائين متعب . الحجارة ما عادت تطيع رئيس البنائين ذائع الصيت الذى انحدر من أجيال من الصناع المجيدين ، جيلاً بعد جيل ، وأباً عن جد حملوا إليه أساليب الحرفة وأسرار التربة .

ذهب عمل رئيس البنائين طوال الشهر الماضى بأكمله سدى ، ومثل المرتين السابقتين اللتين انهار فيهما الجسر لم يقدر أحد أن يتعرف على مصدر الشر الذى وقع . لقد مضى رئيس البنائين ينقب بين الأنقاض . ويرفع الحجارة ، باذلاً جهده ليعثر على العيب الخفى الذى جلب الدمار ، لكن هيهات فهو لا يفهم ما الخطب ، ولا أحد يفهم . فهذه الأرض التى بنى عليها رئيس البنائين جسر آرتا أمتن أرض شققها بمعوله . وهو واثق من العمل الذى قامت به جماعته وثوقه من رسومه وأدواته . وهو يعرف مواده . كما تعرف ربة البيت الماهرة كل سر من أسرار بيتها .

ولم ينجح أحد فى أن يغشه قط . والبناء يحرسه بالليل رجال مسلحون هم من أتباع رئيس البنائين المخلصين . ولم يتسلل إلى عمارته أحد .

إن جسر آرتا ركبته الشياطين ، ويخشى أن تتسلل إلى حياة رئيس البنائين كلها . منذ أن أدرك الدنيا وهو في صراع مع الحجارة والناس ليخلق العمل الذى يقدر له الخلود على مر الزمن ، وهذه قصة يروق للشياطين أن تتلهى بها .

لابد أن الشياطين تبغى منه شيئاً ، فيفتح رئيس البنائين الشباك بعنف ويطل منه صائحاً فى الظلام : « يا شيطان الليل ، تكلم . ماذا تطلب ؟ أريد أن أفرغ من الحساب .. إني أناذيك أن تظهر وتنفاهم » .

إن الحجارة لا تنهار متى كان كل شىء على ما يجب . وعندما طلع الشبح فى أطلال الجسر صاح رئيس البنائين قائلاً أيها الشبح ماذا تريد منا ؟ قل ، ماذا تطلب ؟

وطلب الشبح من رئيس البنائين ثمن العمل الذى يريد أن يخلده فى هذه الأرض .

— سأدفع أيها الشبح . كل فدية تهون فى سبيل أن تدعنى أرسى جسر آرتا .

لكن الشبح يسدد طعنته إلى الأعماق :

انت يا رئيس البنائين الذى ستدفع . ستدفن هنا مخلوقة رقيقة خدوماً بجدها بالنهار إلى جوار أرجوحة طفلك ، وبالليل إلى جوارك .

ها هو رئيس البنائين قد وضع أمام الأمر الواقع . وهو حر فى أن يقبل أولاً يقبل . حر فى أن يقدم زوجته قرباناً للشياطين أو أن يتفرض يديه من بناء جسر آرتا .

لكن فى غمرة اليأس والأسى تدب العزيمة فى القلب المزعزع والفكر المرتج . « ما الذى يعنينى ؟ ألسنا رجالاً أحراراً أقوياء ؟ ألسنا شجعاناً غير هيايين ،

تجرى الفتوة في دماثنا ؟ ابسطو الشراع ! لتحيا الحرية ! الوجود يتلاشى ،
فليضح حطاماً ! تحية أيها الشبح ! »

أضحت كلمات رئيس البنائين ملتوية ، ونظرته سقيمة . أضحى بتلك
المخلوقة المسكينة التي تحتل في حياته أعظم مكانة ؟ ماذا كانت حياته ستكون
بدونها ، تلك الزوجة التي تبخس حق نفسها على الدوام ؟ كانت ستكون
شيئاً مهملاً ، جثة عارية ملقاة إلى الكلاب !

كان رئيس البنائين يمشى بخطوات ملؤها الكبرياء على التربة الدافئة .
عشق شمس الجنوب ، والضياء الساطع ، وأرسي وشيد بقدر ما استطاع قلبه
وجسده . لقد تاق إلى أن يكون مثل حجارته لا يتطرق إليه ذبول ، ولا تطوله
شيخوخة ، وأن يعلو على العدم ، لكن ها هو الموت قد أتى ليغمره .

حتى اليوم كان رئيس البنائين يصارع الحجارة وهو يغنى ويضحك .
كان شاباً والحياة سهلة ، وكان الله كريماً سمحاً . أما الآن فالحجارة تتحكم في
حياته ، ولم يعد يسيطر عليها . إنها أضحت تثقل فكره وجسمه ليل نهار ،
وتجثم على حبه لزوجته ، ولحفته على ولده ، وعلى صلاته إلى ربه في الصباح .
لقد أضحى مركباً بلا ملاح ، روحاً مزعزعة .

تأزمت الأمور الآن ، وأضحت حرية الرجل المهاب خلى البال موضع
الحديث .

كان على رئيس البنائين أن يتخذ قراراً . وقد اتخذ قراره في شراسة وقسوة .
رفض حتى الحل الوسط . رفض الرقة والإشفاق ، فالمرء يكون قاسياً عندما
يتعذب .

و تأتي اللحظة الحاسمة التي يكون على رئيس البنائين أن يتخذ فيها قراره المهول .

يسأله البناؤون بعد أن نزلت الزوجة مختارة إلى قاع حفرة تحت أعمدة الجسر : نحن في انتظار أن تأمر . فيتردد رئيس البنائين ملياً . الحبل أضحي الآن في يده هو . أيأمر ؟ ! بما يأمر ؟ ! « بما يقوله لك قلبك .. بما تريد أيها الرئيس .. بما تعتقد أنه الصواب » ويدوى كلام مروّوسيه في أذنيه ويمزق أعماقه « ويستحثه مساعده ، فالموقف لا يحتمل التلكؤ والإبطاء : « انتبه ، أيها الرجل ، لو كنت أهلاً لأن تحكم هذا المجموع . أشفق علينا ، وأشفق عليها هي أيضاً » .

ويعلن رئيس البنائين قراره . لقد عزم وصمم . وبكل إرادة وحرية واختيار وشجاعة أصدر حكمه : « رئيسكم قدأمر بعدم الإشفاق والنكران ، وبأى شىء آخر تتوق إليه قلوبكم الحجرية . إني أمر : سدوا الحفرة . هيا . » لقد بنى الجسر ، لكن بأى ثمن ، وبأية تضحية ؟ بزواجه الوفية الهادئة التي دفنت في الحجر . وعندما تقبل أمها العجوز تطالب بابتها ، يحاول رئيس البنائين أن يبرء نفسه من ذنبه ، ويمسح دم زوجته عن أصابعه الملوثة .

ولعته العجوز ، وتنبأت بما سيصير إليه حاله : ، سينكرك رفاقك حينما يفيقوا من سحرهم ، وشعبك سيلقى بك بعيداً عنه ، وسيهجرك ابنك أيضاً عندما يحس في حضرتك هول العزلة المحيطة بك . مامن قلب بشرى سيحن إليك بعد الآن ، ويخفف من مرارتك . ستهيم من بلد إلى بلد يتما غريباً . ويل لك ..

مضت سنين كثيرة ، والجسر شامخ مترن . وها هي ثاة من الفتيان والفتيات يرقصون ويغنون في رحابه . وعندما يهبط الليل يقبل عجوز يطوف مثل الشبح حول الجسر ، فينفر منه الفتيان والفتيات . إنه غريب عن بلدتهم حط بها منذ أول أمس . لا بد أن يصرفوه ، فهم لا يريدونه . ومن حقهم هذا فهم

في بلدتهم وهو غريب لاتعجبهم طلعتة ، ولا يروق لأحد . ما من أحد يجرو
أن يحدثه ، وتسرى الرعدة الباردة في أوصال من ينظر في وجهه . لابد أنه
ارتكب جرماً وأتى للاختفاء في البلدة . أو ربما هو أبرص ييم على وجهه .
هذا هو رئيس البنائين بعد السنين الطويلة . ما من أحد يعرفه من أبناء
الحيل اللاحق . ما من أحد يذكره . الكل يتحاشونه ، ويفرون منه . هذا هو
رئيس البنائين الذي كد وكدح لبنى للبلدة جسر ها ، بل واقتضاه ذلك أن
يدفن زوجته في الحجر .

كل شيء نسي ، حتى ذلك اليوم المشهود الذي وقف الجسر على قدميه .
منذ ذلك اليوم ورئيس البنائين لا يحيا . هو جثة هامدة ، وعظام نخرة .
ولا مقصد له يذهب إليه . تقذف الأنواء به هنا وهناك بلا حساب . دفن كل
شيء مع زوجته ، ولم يبق له إلا العدم . ولى الناس مبتعدين عنه ، كما لو كان
مصاباً بالطاعون أو الجرب . لم يوجهوا إليه قولاً جارحاً ولا لوماً . ليس
لأحد شكوى ضده ، ولا أحد يطلب منه شيئاً . تركوه هكذا ييم كصعلوك
لفظه حتى الصعاليك .

السنين تلو السنين ورئيس البنائين هائم على وجهه في قرى ومدائن ، في
بحور وجبال . وها هو يعود إلى الجسر مثل القاتل الذي يحوم بالليل حول
مكان جريمته . ها هو الرجل القوي أضحى ضعيفاً مهدماً تجتاحه الهموم مثل
طفل صغير . في سبيل بناء جسر آرتا ضاع من الرجل كل شيء . ومثل فراشة
اندفع إلى جذوة اللهب واحترق .

ومع همسات النسيم المنساب تحت الأعمدة ، وفي ثنايا الغاب وخرير الماء
وحفيف الشجر تعود روح الزوجة لتلتقي برئيس البنائين الذي جاء مهدماً تحت
جنح الليل إلى الجسر الذي بناه ولا يتعرف رئيس البنائين الذي هدته الشيخوخة
والمرض على زوجته . ها هي تجلب الأمل إليه ، وتصفح عنه .

الذكرى على مر الأيام باقية . بعد أن قدمت التضحية ، وشيد العمل ، واحترق من احترق ، وضاع ما ضاع ، يحق الغفران ، ويزول التوتر والعناء عن الأرواح التي دوختها اضطرابات الزمن المريض ، وتترل عليها السكينة والصفاء .

ويستحيل كل شيء إلى أغنية تترنم بها الأجيال ، وتنطلق كلماتها بعد أن يندثر الرجال لا يدركها عدم ، ولا يلحقها فناء .



تدعونا قصة رئيس البنائين إلى أن نتأمل معنى السعادة . من هو الرجل السعيد ؟ يقول الإغريق لا يمكنك أن تحكم على إنسان بأنه سعيد ما دام على قيد الحياة . قد يتزل الغد بمن يبدو في نظرنا أكثر الناس سعادة — يتزل من النوازل ما يجعلنا نراجع عن حكمنا عليه بأنه رجل سعيد ، فالمجهول يضممر من النوائب ما قد تتضاءل إزاءها كل لحظة من السعادة عبرت بالمرء من قبل . وربما كانت أكثر شخصيات مسرحية « جسر آرتا » ادراكاً لهذه الحكمة الأم العجوز . وعازف العود الضربير .

يتغير قدر الإنسان كل يوم ، فإنسان اليوم ليس إنسان الغد ، وسعادته اليوم ليست حتماً سعادته في غده . لا يعرف المرء كل الشرور التي تحيط به ، والمكارة التي تخف به . ولهذا فإن القول الفصل في أمر سعادة المرء يكون عندما يوافيه أجله .

لقد أرانا سوفوكليس ذلك في مسرحيته عن أوديب الملك على الأخص ، إلا أننا نقف هنا وقفة تأمل ومقارنة بين أوديب ورئيس البنائين . إن أوديب أمضى حياته وهو لا يعلم أن سعادته إنما بنيت على دعامة بشعة ، فما فطن إلى لعتته إلا عندما تكشف له في النهاية . ولهذا فإن أوديب يبدو لنا

شخصية تستدر دموعنا كلها رثاء عليه . إنه إنسان يمضى إلى شقائه عن جهل بما يمضى إليه ، وليس في مقدوره أن يفعل غير ذلك . وتقوم المأساة هنا على صراع غير متكافئ ، بين إنسان معصوب العينين حتى النهاية ، وقدرات جبار .

أما رئيس البنائين فهو شخصية لا تستدر الرثاء بقدر ما تثير الإعجاب ، ولم ينكص عن السير إلى حتفه بقدميه . لقد كان يستطيع أن يتراجع عندما عرف مطلب الشبح منه ، وأن يتخلى عن مشروعه لائذا بمستوى البشر العاديين . كان بمقدوره أن ينفذ يديه من بناء جسر آرتا لينعم بحياة وادعة وارفقة الظل في حضن زوجته الوفية الحميلة ، ويجوار ابنه الحبيب . لقد كان رئيس البنائين شخصية منحت حق الاختيار ، وأتيح لها أن تقرر مصيرها . وهو في هذا الصدد أشبه بأنتيجون ابنة أوديب وبطلة سوفوكليس . كان باستطاعة أنتيجون أن تختار الطاعة دون ائتمرد . كان بمقدورها أن تختار العريس النبيل والحياة الزوجية الهائلة دون الإصرار على دفن أخ تألب عليه الحاكم كريون .

لقد كانت أنتيجون مثل رئيس البنائين شخصية بصرت بمصيرها ؛ أما أوديب فما كان يستطيع شيئاً من ذلك . لقد حيل بينه وبين اختيار مصيره . ويمكننا أن نضيف أن كلا من أنتيجون ورئيس البنائين أثبت شجاعته أمامنا ، فقد وضع سعادته في كفه والهلاك في كفة أخرى ، ورجح الثانية . أما أوديب فما نعرف ماذا كان يفعل لو عرف مصيره من أول الأمر . وإن كان سوفوكليس المؤلف يعرض ذلك فقد صور لنا أوديب على أنه شخصية لها ماضيتها الناصع في الإقدام والحسارة ، فقد سبق له أن واجه الوحش أبو الهول وهزمه .

لقد ارتكب أوديب فعلته ؛ وسلك سلوكه الكريه دون إرادة منه .

فقد كانت إرادته الحقيقية على تقيض سلوكه . أو بعبارة أخرى كان أوديب فيما أتاه مسلوب الإرادة . ومن ثم لا تقع مسئولية ما أتاه على عاتقه ، لأن المسئولية تقتضى سلطان الإرادة وحرية الاختيار . أما رئيس البنائين فقد كان حراً أن يختار . كانت إرادته على بينة من أمرها . ولقد اختارت ما اختارته . ومن ثم كانت مسئولة تماماً عما أتته وسلوكته .

إن مسرحية « جسر آرتا » مسرحية المسئولية الكاملة ، أما مسرحية أوديب فهي - في نظرنا - مسرحية المسئولية المعدومة ، لأن الإرادة فيها مسلوكة والبصيرة معصوبة . أما في « الجسر » فرئيس البنائين قد بصر وخير ، وعليه تقع مغبة فعلته .

وترتبط الحرية ارتباطاً وثيقاً بفكرة الضرورة أو الجبرية . وقد كان الإغريق من أسبق الناس إلى صياغة التلاحم بين الحرية والضرورة في فكرة القدر التي كانت محورا أساسيا للأساسة .

ولقد كانت الحرية عند « الرواقين » انصواء تحت لواء الإرادة الكلية القادرة على كل شيء ، وذلك من خلال الاستيعاب العقلي لكنه الطبيعة . ومن ثم ليست الحرية في النهاية ضد القدر بل هي مع القدر . إنها ليست ضد الضرورة بل هي الضرورة مفهومة حق الفهم .

أما « الأبيقوريون » فقد ذهبوا - على عكس « الرواقين » - إلى رفض حتمية القدر ، وتصوروا أن للنفس البشرية قدرة خاصة على أن تنزّل عن قوانين الآلهة ، وتأبى تقبل أى مصير مرسوم .

ويختلط في مسرحية « جسر آرتا » مفهوم الرواقين والأبيقوريين عن القدر ، فيتساءل رئيس البنائين في لحظة من اللحظات عما إذا كان بدوره في اختياره ما اختاره أداة لذلك القدر الذي جعل زوجته تختار التضحية

بنفسها . ويستدعى هذا الموقف الرواقى إلى الذهن قول الفيلسوف اسبينوزا إن النفس لا تنطوى على أية إرادة حرة ، بل هى مجبورة على أن تريد هذا أو ذاك بمقتضى علة هى أيضا مشروطة بعلة أخرى ، وهذه العلة بدورها محدودة بعلة أخرى ، وهكذا إلى مالا نهاية ، فكل ما يحدث فى الوجود يرجع إلى تلك العلة الأولى التى تحقق منذ الأزل كل شىء بكمال أسمى .

إذن ها هو رئيس البنائين فى لحظة يؤمن بالجبرية . وها هو يحاول أن يرى نفسه زاعما لنفسه أن الذى حدث ربما كان من فعل قوة مستقلة عن إرادته ، وما كان بإمكانه أن يحول دون وقوعه . ولكن هيهات أن ينجح فى إسقاط المسئولية عن كاهله حتى أمام ضميره فهو مع « الأبيقوريين » — يشعر فى قرارة نفسه شعورا لا يفتر بعدم الإقتناع ، إذ أن الاحساس بالحرية كامن فى أعماقه .

وإذا أردنا أن نمضى فى توسيع نظرتنا الرواقية إلى موقف رئيس البنائين فيمكننا أن نقول بأنه عندما تتعارض الإرادة مع الرغبة فلا حرية إلا بالتغلب على الرغبة ، ومناوئة الأهواء ، لكن يجب هنا أن نتصور التعارض بين الإبقاء على حياة الحبيبة وتشيد الجسر على أنه تعارض بين إرادة ورغبة ، بين العقل والهوى ، أو — على حد قول الفيلسوف لينيتز — بين رغبة دنيا ورغبة عليا ، وأن يصور الاستئثار بالحبيبة على حساب المصلحة الاجتماعية المتمثلة فى بناء الجسر هوى أو رغبة دنيا ، وأن يصور الإصرار على بناء الجسر ولو على جثة الحبيبة رغبة عليا ، صوتا من العقل وإرادة حق .

لا يعانى أوديب إلا بعد أن تقع الكارثة ، أما رئيس البنائين فيعانى معاناة الاختيار . ثم يعانى معاناة ما بعد الاختيار ، أى يعانى نتائج اختياره ، ففى « جسر آرتا » إنسانا فى صراعه مع تصرفه ، كيف يجب أن يكون ،

وما يجب أن يكون . ثم نراه في صراعه مع مانتج عن تصرفه ، فيتحمل مغبة انعكاساته عليه وعلى من حوله . إن معاناة أوديب قصيرة الأجل ، وتأتي في النهاية تماما . أما عند رئيس البنائين فهي معاناة أكثر تعقيدا وأطول مدى ، وتزيج النقاب عن قدر اكبر من قيمة الإنسان ، عن شجاعته وكبريائه ، عن قدرته في الاختيار وتحمل نتائج هذا الاختيار . إنه إذن قادر على أن يكون شيئا بذاته ولذاته مهما كان الدمار الذي يلحق به ، قادر على أن يدبر مصيره ويحدده ، لا أن يكون مجرد الموقع الذي تنزل عليه النوازل .

عندما عاد الرسول إلى أوديب يحمل إليه من معبد دلفي رسالة محيرة تقول إن شيئا دنسا يقبع في المملكة ولا بد أن يمحي ، أخذ أوديب يبحث عن ذلك الشيء ، دون أن يفتن أول الأمر إلى أن هذا الشيء فيه ، ولقد كان هذا حال رئيس البنائين أيضا ، فقد كان ذلك الشيء فيه ، وهو طموحه ذاته .

ولعل من أصعب المواقف على رئيس البنائين أن عرف أن انهدام جسر آرتا لا يرجع إلى مواده ولا أدواته ولا رجاله ولا خصومه ولا التربة التي بنى عليها بل اليه هو ذاته . وهذا الموقف في صعوبته توأم لموقف أوديب عندما اكتشف انه هو القاتل الذي يبحث عنه ليرفع عن المدينة ما حاط عليها من لعنة ودنس ، فهو الذي قتل أباه الملك لايوس وجوكتا الملكة هي أمه .

كما يذكرنا موقف رئيس البنائين أمام الشيخ إلى حد بعيد بموقف أوديب من العراف الأعمى تريزياس الذي كان يعرف ولا يريد أن يبوح بمن هو أصل البلاء النازل على المدينة . فالشيخ يعرف ما المطلوب حتى ترول

اللجنة ، ويقف جسر آرتا على قدميه . وهو لا يبوح بما يعرف شأنه في ذلك شأن تريزياس إلا بعد أن استفزه رئيس البنائين ، فقد راح يصيح في الظلمات مناديا الخصم المجهول أن يظهر ويتفاهم . وعندما ظهر له الشبح في خرائب الجسر مطالباً بثمن العمل الذي يريد أن يخلقه في هذه الأرض قال له : أنت الذي خرجت باحثاً وصائحاً في الليل .

وكم كنا نتمنى أن يطيل ثيوتوكا في مشهد رئيس البنائين مع الشبح ، فقد ابتسره المؤلف بينما كان يستطيع أن ينمي حوارهما بعض الشيء مثلما فعل سوفوكليس في المشهد بين أوديب والكاهن تريزياس .

إن أوديب أمام كل الناس ملك مبجل مهاب ، لكن من هو في الحقيقة ؟ مخلوق دنس . إنسان شقي بمصيره ، عندما سترفع الغشاوة عن عينيه ويرى نفسه على حقيقتها . مخلوق مكتوب عليه أن يتحطم عندما يصطدم بالقدر الذي يدبر المصائر والناس نيام ، والذي لا يفر منه حتى مهما طلب الفرار . وهذا شأن رئيس البنائين أيضاً . هو بناء أريب قدير له أعمال شامخة تسبح بعبقريته وجبروته ، ولكنه لا يعرف أنه في الواقع قاصر مكتف اليدين ، ووحش ضار كريه .

رئيس البنائين — مثل أوديب من قبل — مفتاح العينين ولا يعرف ما يجتبه المستقبل ، بينما عازف العود الضرير يعرف كل ما في الأغنية .

يعرف أوديب إذن الحقيقة التي أضناه البحث عنها ، وهو أنه قاتل أبيه ملك لا يوس ، كذلك يعرف رئيس البنائين من الشبح الحقيقة القاسمة وهي أنه هو نفسه السبب في انهيار الجسر المراد تشييده ، لكن ثمة فارقاً بين رئيس البنائين والملك أوديب في هذا المقام ، فالذي يحطم أوديب هو الماضي ، بينما الذي يحطم رئيس البنائين هو المستقبل . إن أوديب لا يخاف

من المستقبل بل من الماضي ، أما رئيس البنائين فماضيه مشرف وحافل
بجلائل الأعمال ، لكن مستقبله هو المحفوف بالمخاطر .

كان الإغريق يقدسون فكرة «مصلحة المدينة» على الدوام . ما الذى
جعل رئيس البنائين يضحى براحة باله ، وهو الرجل الناجح المهاب الذى
وهب زوجة وفية وولدا وجاها ، وحظى بكل ما يمكن أن يحلم به
الرجل العادى . ما الذى جعله يترك البر الآمن ليلقى بنفسه فى خضم بحر
متلاطم الأمواج ، وبركب موجة عاتية؟ ما الذى دفعه أن يترك نور النهار
ليخرج إلى ظلمات الليل يصارع شياطين ومردة ؟

يجدر بنا أن نرجع هنا إلى نبعين أساسيين : الأول هو فكرة إغريقية
تليدة منذ القرن الخامس قبل الميلاد هى الإحساس بقيمة المدينة وتوقيرها .
والثانى : هو شخصية الإنسان وآفة الطموح . أعنى التعطش إلى تأكيد
الذات تأكيدا عارما ، وزهو الحياة الذى يجعل الإنسان يعصف بقوانين
الآلهة ونواميس البشر.

ولقد كان رئيس البنائين شخصية جمعت بين السعى إلى الوفاء بمصلحة
المدينة ، بأن يحقق لبنى وطنه الجسر الذى طلب عليه القوم منه أن يستخدم
كل مهارته وخبرته فى إقامته ، وبين الطموح الذى يصل بصاحبه إلى
التحدى والتحطم على صخرة المطلب الضخم .

وربما أمكننا أن نقول على ضوء فكرة «مصلحة المدينة» أن رئيس
البنائين إنما فعل ما فعل تحت تأثير شعور عميق بالواجب ، وبأن هذا الجسر
الذى عهد إليه أهل البلد ببناءه يجب أن يتم خدمة لرفاقه البشر . فعل رئيس
البنائين ما فعل إذن تحت تأثير الإحساس بأنه ملتزم ، ومن ثم اختار حرية
أعلى مفضلا إياها على حرية أدنى . اختار القانون والصواب على الهوى

والنزوة العابرة ، مثبتا بذلك قدرة حقيقية على ضبط الذات ، وإحساسا جادا بالمسئولية .

لقد حققت إرادة رئيس البنائين ما كان غير ممكن أن يحدث لولاها . لقد تصور ذلك القائد الجسر في مخيلته المبدعة ، وقدم للمستقبل بإرادته الفولاذية شيئا لم يكن له وجود من قبل ، فكانت حرية رئيس البنائين بذلك مصدر تجديد . كانت ثقته بحريته إيمانا بالتقدم ، وكانت مخاطرته استهتارا بالمستحيل ، فتحت أمام الشعب إمكانية الانطلاق إلى مستقبل أفضل : التغيير والقدم ممكنان إذن ، والمستقبل مفتوح على مصراعيه لمستقبل حركة الإرادة الحرة . ولقد شحذت الضرورة الخارجية ممثلة في الشعب عزيزة رئيس البنائين الذي كان بطلا قام بدور فعال في ظهور شيء جديد في الوجود ، رغما عن كل القوى الخارجية المعوقة . وهكذا تبدو الحرية بذلا يقوم على أن المستقبل ليس مقفلا أصم بل هو حافل بالوعود التي تقتضى من الحاضر ارادات حرة مبدعة تتعدى على الدوام ما هي عليه بالفعل .

إن جسر آرتا إيمان بالتقدم ، وبأن المستحيل قابل — على حد قول الفيلسوف ولیم جیمس — للمراجعة باستمرار ، وبأن المستقبل رغم كل العقبات والضرورات مفتوح أمام ذوى القرائح الخلاقة والجماجم الصلبة من أمثال رئيس البنائين .

لقد كشف رئيس البنائين باختياره في سبيل «مصلحة المدينة» أو بعبارة أعم «الصالح الإنساني» عن حقيقة ذاته . إنه فنان مبدع ، وككل فنان مبدع على استعداد أن يضحي بكل شيء حتى يرى عمله الخلاق في النور والضياء ، وان يتحدى كل حتمية .

هناك كثيرون يعيشون ويموتون دون أن يعرفوا الحرية بهذا المعنى .

فهذه الحرية نادرة الوجود لأنها خلق وإبداع ، وقلائل من يقدر لهم أن يرقوا الى مرتبة الخلق والإبداع . الحرية بهذا المعنى تبنى في نتائج خلقها ، وتجعل عملها هو الامتداد الوجوبي لروحها ووجودها . وهكذا تتحول الارادة الى وجود يتطور وينمو من خلال الحرية التي هي خلق وابتكار قبل كل شيء ، لأنها اثبات لوجود الذات في العالم الخارجي ، وامتداد للروح الى عالم المادة الذي تشكله على صورتها هي .

كان رئيس البنائين انسانا ناجحا لحدود لطموحه . كان على الدوام قادرا على أن يتفد ما يريد ، وأن ينطق الحجارة الصماء الصلبة بأفكاره واحاسيسه . وكان يعرف كل دقائق عمله ، ويتقنه اتقاناً ما بعده من اتقان . انه الفنان القائد العالم المخترع . ومن كان على هذا القدر من العبقرية والطموح يتعرض لآفة خطيرة تردى بصاحبها في التهلكة اذا استبدت به وتحكمت . اعنى الزهو والشعور بألا حدود لما يقدر عليه . وهذه الآفة تجعل الطموح بسبب طموحه ذاته مهددا بأن يتحطم ، وان ينتهى الى احلك مصير . وهذا التهديد لا ياتي من الخارج بقدر ما ياتي من الداخل . إنه كاليحسوب يلدغ ويموت . من الخارج ياتي التحدى ، ومن الداخل تتدفق الرعونة والاستهانة بالخطر . من الخارج تأتية المطالبة ، ومن الداخل يؤدى الثمن الباهظ الذى قد يصل الى حد القتل والتدمير والجريمة . وكان يحلو للآلهة عند الاغريق ان تلهو بامثال هؤلاء الطموحين ، ويروق لها ان تهدم النجاح الكبير ، وتدحرج من أعلى الجبل! الصخرة التي شق « زيريف » في حملها الى القمة .

أفى حادثة رئيس البنائين عظة وعبرة ؟ أجل . إن الكبرياء تلد الطغاة ، واذا ما تجاوزت الحد لاتلبث ان تنحدر بصاحبها الى هوة من الشقاء لا تخرج .

له منها . ان الذى يَستَرسَل مع الكبرياء خَلِيق ان يَحِيق به المكروه عقابا على جرأته الآثمة . لذلك عليك أيها الانسان بالتواضع حتى فى لحظات الانتصار . ليكن فخارك تبجيلا للآلهة ، واحتراما للقوانين المستببة والإرددت الوديان اصدااء صياحك عندما تسقط فى الهاوية .

لكن رئيس البنائين يستهين بالانخطار ، ويمضى فى طموحه الى منتهاه ، ويقبل ان يدفع الثمن الفادح مختارا . وهو هنا يبدو بطلا مأساويا يستدر الشفاق والسخرية معا . انه معتر بعقريته ، وهذه العبقريه هى سبب دماره ، فالقدر بالمرصاد للعبقريه وللعمل المتقن وللنجاح .

على ان الانسان هو الانسان ، لا يرضى أن يقبع خاملا فى سبيل راحته ، بل هو يطرح وراء ظهره كل غم مضمون لكي يحقق ذاته ويتترع لرفاقه البشر شعله النار المقدسة من الآلهة ، حتى لو كان جزاؤه ان يربط مثل بروميثوس على صخرة ، وتنهش النور كبده . هذه عظمة الانسان ، فهو لا يكف عن الصراع ، وعلى استعداد ان يدفع على الدوام الثمن سواء عن اخفاقه او نجاحه .

وليس رئيس البنائين مثالا على طموح الانسان فحسب بل وعلى عجزه عن أن يكون أكثر مما هو . وتثير مأساة رئيس البنائين التأمل فى المركز الحقيقى للانسان فى الوجود ، وفى مدى فاعلية تحدى الانسان لامكانياته ، وتمرده على قصوره العقلى والجهلى ، ومحاولة تعدى الحدود بالروح المتطاولة إلى أعتاب الروح الكلية . ان رئيس البنائين رمز للايمان بقدرة الانسان على تقرير مصيره بعقريته واستخفافه بالصعاب . لقد حقق رئيس البنائين فى الماضى كل ماتاقته روحه اليه ، وها هو الآن امام جسر آرتا يضع نفسه

امام السؤال : هل هناك ما تعجز عنه ارادته ؟ ويمضى السؤال محيرا ممضا :
من أنا ؟ ما هي امكانياتي وحدودي ؟ ما هو الثمن ؟ .

وتمر مأساة رئيس البنائين بمراحل خمسة : الأولى : قبل أن يواجه
الشبح ويعرف ما هي التضحية المطلوبة منه . وهي هنا مأساة بحث واستجلاء .
ثم تأتي المرحلة الثانية ، وهي تبدأ بالمواجهة . ويجب ان نلاحظ هنا الخطاب
المباشر من رئيس البنائين الى الشبح . وقد كان رئيس البنائين مازال محتفظا
بكامل كبريائه . ثم تسلمنا المواجهة الى لحظة التنوير والتحذير . وهي اللحظة
التي تبلغ قممتها عندما يقول الشبح لرئيس البنائين « أنت حر » ثم تعقب لحظة
التنوير لحظة المراوغة والمساومة . ثم تأتي المرحلة الثالثة وهي مرحلة الصراع
الحقيقي . وهو صراع مزدوج : فهو من ناحية اولى صراع بين البطل ونفسه ،
ومن ناحية اخرى هو صراع بين البطل ومن حوله : بين البطل ومساعديه ،
وبينه وبين امرأته . واذا كانت الزوجة تقبل عن طيب خاطر المضي
الى التضحية من أجله ، الا ان هذا الاقبال والترحيب لا يخفف من
وقع الصراع على رئيس البنائين ، بل يزيد عبأه ثقلا عليه ، وهو يصرح
بذلك بنفسه . ثم تأتي المرحلة الرابعة وهي مرحلة القرار ، التي تتسم بالسرعة
في التنفيذ خشية العدول والنكوص ، خشية التخاذل والتراجع . وبعد ان
ينفذ القرار وتؤدي التضحية — كما ارادت الآلهة — تبدأ ردود الفعل عارمة
شديدة . تمرد على رئيس البنائين أولئك الذين كانوا يستحثونه على اتخاذ
القرار ، هبوا يلعنونه ، ويلقون عليه تبعة ما وقع . كما لعنته الأم العجوز
لعنة عميقة الغور ، بعيدة المدى . ثم تتوالى النتائج . لقد وضع رئيس البنائين
نفسه بفعله الجريء خارج نطاق البشر . الجميع يخشونه ويتهيبونه ويتحاشونه .
ورويدا رويدا انقض من حوله مساعده ورفاقه ، بل وافترق عنه ولده عندما

كبر وعرف اى قاس هو ابوه . ثم ترداد الهوة بينه وبين البشر كلما مضى الزمن ، وارخى على عملية بناء الجسر سدول النسيان ، حتى اضحى رئيس البنائين فى النهاية منبوذا يفر الشبان والشابات منه . فرارهم من شخص ملعون . ثم تأتى المرحلة الخامسة ، مرحلة هدوء العاصفة وفواتها . كل شىء كأنه لم يكن . وبعد العناء وسفك الدماء لابد من التطهير ، وهو ما يصل اليه رئيس البنائين بعد أن يحقق طموحه ، ويدفع الثمن غاليا . وعندما نصل الى مشهد التطهير فى أواخر المسرحية تتألق الروح الاغريقية من جديد ، ويضئ مزيج من تبجيل الانسان والتسليم بالقدر وايمان بان اللحظة المضيئة فى حياة البشر رغم كل التعاسة التى تحفل بها هى لحظة الشموخ والشجاعة وتحدى الخطر .

لعل من الممكن تعريف الحرية بأنها اختيار المرء لما يأتية عن تدبر وروية . وهذا يقتضى ان يكون امام المرء اكثر من سبيل يسلكه فيستقى منها سبيلا يكون له ألا يتتقيه أيضا . أى أن الحرية فى النهاية تصميم وعزم يدفع اليه مبرر عقلى أو باعث عاطفى أو الاثنان معا .

ولا انفصال بين الارادة والبواعث ، ولذلك كان اختيار رئيس البنائين عملية تغليب لباعث على آخر . ولكى نحكم على رئيس البنائين أوله يجب أن نقرر لأنفسنا بادىء ذى بدء ما اذا كان باعته الذى قدر له الغلبة فى النهاية مجرد هوى من الاهواء ام باعثا نابعا من صميم وجوده . أو بعبارة أخرى هل كان رئيس البنائين يتصرف وفقا لتروة أم وفقا لعقله . ذلك أن المرء لا يكون حرا — على حد قول الفيلسوف لينيتر — الا بقدر ما تنزع إرادته بوازع من صوت العقل . وليس الاختيار الحر سوى الاختيار المعقول ، أى اختيار هدف خير استنبطه العقل . وليست الحرية باى حال

من الاحوال انحرافا بل هي تعال على الاهواء : لذلك توقفت سعة الحرية على مبلغ رجاحة العقل ودرجة الحكمة والفضيلة التي يرقى اليها المرء . هناك اذن درجات من البواعث . والبواعث العقلية اعلى واوجب بالاحترام من البواعث الجسدية . وكلما كان الباعث العقلي أكثر حكمة وفضيلة كان باعثا اقوى جذيرا بان يتغلب على سائر البواعث . على انه مهما كان الامر فلا يجب ان تغفل ان البواعث ذاتية لان المرء هو الذي يضيق على بواعثه ماله من معنى بل ومن اهمية حسب تصوره لماهية الاخلاق .

كى نمضى بحريتنا يجب ان ندفع الثمن . الحرية اذن مشروطة ، فهي تقف عند الضرورات . وعلينا ان نغالب تلك الضرورات المعوقة ونذلها . ان رئيس البنائين قد مارس في المادة حريته ، واعمل في العالم الخارجى ارادته . وقد روض العالم المادى وجعله رهن بنائه . لكن ها هي ضرورات جديدة ومهولة تهب واقفة امامه ، تسد الطريق امام ارادته وتصددها عن المضى منطلقة في طريقها . وعندئذ تشحذ الحرية لتكسر العائق الذى اعترض سبيلها . واذ ذاك اما ان تبدو الارادة خائرة ساقطة ، واما ان تبدو فعالة مؤثرة . ومن ثم لا تكون الضرورة الا دليلا حيا على انتصار الحرية . والواقع ان انتصار الحرية على الضرورة يحتاج الى توضيحات . ولكن الضرورة والحرية والتوضيحية تكون في النهاية كلا انسانيا متماسكا ، لا يمكن ان تفهم بدون حقيقه الوجود ، ذلك الشريط المتتابع الذى لا يمكن استيعابه الا حال حركته . اننا لو وقفنا عند حد الحرية منعزلة لبدت لنا وعاء أجوف ، ولكن اذا قرعناها بالضرورة ، ولاحظنا التوضيحات التى تبذل من حول ذلك الالتحام بين الضرورة والحرية لادررنا مدى متانة ذلك الوعاء ، ومبلغ اصالة معدنه . اننا اذا تصورنا الحرية على انها مجرد رفض للقسر الخارجى وتمرد عليه كان تصورنا قاصرا ، اذ أن الحرية في كمالها تبدو

عملية اختيار داخلي مبنى على تفضيل بواعث ونوازع على أخرى . وهكذا لم تكن حرية رئيس البنائين مجرد اصطدام بين ارادته وحتمية خارجية فحسب ، بل تحولت بعد ذلك الى صراع اخلاقي اعتمل في اعماقه ، ومزق ضميره واورثه القلق والهم فترة . ثم انتهى ذلك الصراع الذى هو في الواقع - بسبب طابعه الاخلاقي - صراع بين القيم الى انتصار قيمة على أخرى ، كتب لها الغلبة في الداخل ، وعلى هديها تبلور سلوك رئيس البنائين ، وانعكس على العالم الخارجى . ان معالجتنا للعالم الخارجى إنما يحكمها ناتج عملية تفضيل داخلي . وتحول عملية التفضيل هذه الى صراع حقيقى بقدر اهمية النوازع والدوافع التى تكون موضوعا لعملية التفضيل المذكورة . وهو ما حدث في اعماق رئيس البنائين فعلا ، فقد احتكت ارادته بالضرورة الخارجية التى هى بناء الجسر ، ثم بدأ في اعماقه صراع شاق : هل يضحي بحبه ام يضحي بطموحه ؟ ولقد كان التزال مريرا نظرا لفداحة كل من التضحيتين وجسامة كل من دافع الحب ودافع الطموح . وكان الاختيار لازما حتى تظهر ارادته في نطاق الوجود الخارجى . وهكذا كانت القيمة هى جوهر الواجب الأخلاقي والإلتزام الإنساني .

وقد كان بإمكان رئيس البنائين ان يختار ما كان سيختاره اى فرد عادى لو كان في مكانه ، فيراجع عن مشروعه الكبير ، ويفضل ان يقبع الى جوار زوجته وابنه . لكن رئيس البنائين شخصية بطولية ، من صنف اوريست وانتيجون ، ينبذ الطريق السهل ويقبل على الطريق الوعر . وما أشد شبه رئيس البنائين في هذا بالقبطان في مسرحية اونيل «زيت الحيتان» الذى كان بدوره في صراع بين ان يضحي بالصيد الوفير في سبيل زوجته التى تستعطفه ان يرجع بالسفينة الى الشاطئ لأن الرحلة على وشك ان

تودى بعقلها ، وبين ان يضحي بزوجه ويورثها الجنون في انتظار ذوبان الجليد لينطلق الى حيث الحيتان التي خرج لصيدها كثيرة ، وذلك حتى لايقول له رفاقه القباطنة ها هو «القبطان كينى» قد عاد خاوى الوفاض فاشلا . لكن الفارق بين شخصيتي القبطان ورئيس البنائين يتمثل على الاخص في الفكرة الموجهة ، فهذه الفكرة لدى رئيس البنائين مشروع عام اختلط فيه الحافز الفردي بالحاجة الاجتماعية ممثلة في المصلحة المشتركة التي ستعود على الشعب من بنائه .

وقد يبدو رئيس البنائين في نظر البعض انايا اذ ضحي بروح بريئة محبة في سبيل تحقيق طموحه . على ان الذى يستأهل الاعتبار هنا ان الزوجة بالنسبة لرئيس البنائين لم تكن تمثل متعة جسدية اساسا بل كانت له عزاء وسندا . ولنرجع في ذلك الى أوصاف الزوجة التي ترخر بها المسرحية وهي في مجموعها اوصاف روحية معنوية . ويمكننا ان نتصور مبلغ العذاب الذى عاناه رئيس البنائين وهو يقرر التضحية بامرأته عندما نسمعه يتوسل الى الشبح طالب الفداء : «انك بكلامك تمزق جسدى اربا اربا . اطلب منى أى شيء آخر . اطلب منى حياتى او صحتى . هل تريد عينى ، أيها الشبح ؟ ها أنا اعطيك عينى . » كم يحب رئيس البنائين زوجته ، كم هو مشلود اليها بوشائج الحب والألم ! وبقدر ماوضحت الزوجة ضحي رئيس البنائين ، فقد ضحي بأعز الناس اليه ، وبأغلى شيء في الوجود ، وعندما تعود روح الزوجة اليه في المشهد الأخير جالبة العزاء والسكينة وراحة البال تقول له : « ايها الرجل الشريف ، ايها الرجل العادل ، الرجل الهالك ، أكبرنا تضحية والله هو انت ولست أنا » وكل هذا من شأنه أن يلطف من تصور المتصورين لانانية رئيس البنائين ، فلقد حكمت الضرورة وكان الصراع مريرا ،

وانتهى رئيس البنائين الى اختيار التقدم على السكينة ، والطموح الشرس على الحب الوديع .

قلنا أن مسرحية «جسر آرتا» هي في الواقع مسرحية الحرية والضرورة . ويواجه ثيوتوكا مؤلف المسرحية في بناء الجسر مشكلة اساسية من مشكلات الحرية ألا وهي «الحتمية الطبيعية» فقد ذهب كثير من مفكرى العلوم الى ان الكون تحكمه قوانين صارمة لا محل ازاءها لأية صدفة ولا أية حرية ، وإن الظواهر الكونية — ويمكن أن يندرج فيها ايضا ظواهر السلوك — ليس لها الا أن تختار الانصياع للقانون الحتمى .

لكن ثيوتوكا — مع احدث ما وصلت اليه ابحاث العلماء وفلاسفة العلوم — لا يسلم بميكانيكية العالم الطبيعى ، ويفسح في تصور الكون لفكرة الاحتمالات ، مقرران ان مصير الوجود ليس محددًا تحديدا قريبا لافكاك منه .

اذا كان الأمر أمر حتمية ميكانيكية صارمة فما كان ينهار الجسر الا في المرة الأولى ، ولا في المرة الثانية ، ولا في المرة الثالثة . لقد بنى الجسر بناؤون مهرة ملكوا ناصية العلم والصناعة ، وعرفوا دقائق العمارة ، وازدادوا خبرة جيلا بعد جيل . رئيسهم يعرف مهنته خير المعرفة ، رسومه متقنة ، ومواده خالية من كل شائبة ، والارض التى يبنى عليها امتن أرض شقها بمعوله ، وحراسه أشداء ساهرون . كل شيء على خير ما يرام ، ومع ذلك ينهار الجسر المرة تلو المرة . ماذا يعنى ذلك ؟ لا شك انه يعنى الاحتمية طبيعية ، فحتى حركة المادة الصماء تعرف الاحتمالات التى تفسح المجال لتفاعلية الروح فى الطبيعة . ليس فى الطبيعة قوانين حتمية ، بل قوانين احتمالية . وفى هذا انتصار لقضية الحرية ، فلم يعد الانسان مكبلا فى تصوره

للوجود بجمعية متناهية ، بل يجب ان يثق بعلمية شعورنا الوجداني بالحرية ،
فان ثمة دورا فعلا يقوم به الضمير الانساني في خضم العالم المادى . ، ففي
الطبيعة ذاتها حرية اختيار .

لقد تصدع جسر آرتا وانهار ، وما كان يتصدع او ينهار لو كانت
قوانين المادة صارمة ، وكانت الحتمية هي الدستور الأعلى . وقد بدت من
وراء خرائب الجسر الروح التى لها الكلمة الأولى والاخيرة فى أن يقوم
البناء ويقف على قدميه . وبدت بذلك المادة مجرد أداة طيعة قد تعصى ان
تطيع ارادة البشر ، لكنها تطيع فى النهاية ارادة علوية . وهكذا يسقط
القناع ويبدو الوجود صراعا سافرا بين ارادة وارادة ، بين ارادة دنيا
وارادة عليا ، بين ارادة بشر وارادة قدر ، بين جوبيتر الاله واوريست
الانسان ، بين حرية وضرورة . والقدر الذى شغل مقاما كبيرا فى المسرح
الاغريقى هو صورة من صور الضرورة .

وتثير العلاقة بين الشبح والجسر تساؤلا غامضا . فما وجه تحكم الشبح
فى الجسر . كيف يؤثر كائن معنوى فى المادة ؟ كيف تلتقى الروح والمادة ؟
كيف يمكن للروح ان تجبر المادة على ان تطيع ؟ لا مفر ازاء هذه التساؤلات
من أن نتقل الى التسليم بان المادة والروح من معدن واحد ، وان اختلفا فى
الدرجة ، فالطبيعة امتداد للروح بحيث يمكن ان نتوقع تلاقيا وتجاوبا بين
الروح والمادة ، بين الشبح الغامض والجسر الحجرى .

رغم أن « جسر آرتا » قد استقيت من أغنية شعبية تحكى أحداثا على قدر
لا يستهان به من الغرابة ، فإن ثيوتوكا رأى أن هذه الأحداث فى الواقع نافذة
عريضة على أخطر قضية أرقبت البشر منذ أسلافه الأغريق ، ألا وهى قضية

الحرية والمسئولية . وقد صارت هذه القضية في عصرنا الحاضر أكثر حدة وأشد بروزاً .

ولقد كتب ثيوتوكا « جسر آرتا » في أعقاب « الذباب » لجان بول سارتر التي قدمت أول مرة بباريس في يونيو ١٩٤٣ . ونلمح في « الجسر » لمسات اصطبغت بتصور سارتر للحرية التي هي إحدى قمم التصورات في القرن العشرين للمشكلة التي أرقت رجال الفلسفة والمسرح منذ الاغريق .

يقول سارتر إن الحرية لعنة ، لكنها المصدر الوحيد لنبل الإنسان . ويعنى أن تكون حراً قبولك النقي والانغزال عن سائر البشر الخاضعين ، وإن تحيا في قلق . ولقد أحس رئيس البنائين ذلك ، عندما بدأت مشكلته تبدو ، فراه يتوسل إلى سائر رفاقة البنائين أن يحبوه وألا ينفضوا عنه . هذا هو الإحساس بالقلق والسير إلى الإنغزال المصاحب للاختيار الذي هو عصب الحرية . على أن « الذباب » توضح لنا نقطة على جانب من الأهمية تجعلنا نراجع موقف رئيس البنائين ، ألا وهي هل يمكن أن يوجد معيار أخلاقي للحكم على اختيار رئيس البنائين الصارخ ، اختياره الجسر دون الزوجة ، اختياره الطموح على حياة أعز إنسان إليه ؟ وتجييب « الذباب » اجابة يمكن أن تعمق محاولة الحكم على اختيار رئيس البنائين ، فتقول « الذباب » إن الإنسان إنما يخلق قيمه الأخلاقية باختياره هو ، والقوانين الأخلاقية مبنية على قرارات الإنسان لا على نواميس ميتافيزيقية . القول بأن للإنسان حرية يعنى أن اختياره إنما ينبع من ذاته هو لا من أية قوة علوية أو خارجية ، وهو مسئول عن نتائجها .

وإذا كان الإله جوبتير في « ذباب » سارتر يرفض الاعتراف للبشر بمثلاً في أوريست بحريتهم ، فإن الشعب يسلم لرئيس البنائين بالحرية ، بل يؤكد

أنه حر ، في الاختيار بين الجسر وبين امرأته . وان كان حديث الشبح على أى حال ، يحمل الشك في مقدرة الإنسان – هذا المخلوق الضعيف – على اختبار الطريق الشاق . وهنا يتأكد قول سارتر إن الحرية لعنة ، لكنها السبيل الوحيد لأن يكون الإنسان نبيلًا .

هنا نمن نصل إلى سؤال جديد : هل عرف رئيس البنائين الندم بعد أن ماتت زوجته في سبيل طموحه ؟ كلا ، لقد تعب وعانى ، وانقض عنه الناس جميعاً ، وخسر – على حد قوله – الجلد والعظام ، لكن لا نشم من كلامه أو مسلكه عقب حدوث الفعل أى ندم . حتى نهاية المسرحية ، حتى آخر كلمة يرنى بها ، لا أثر للندم . لماذا ؟ لأن الندم مستحيل وعيب ، فما من لحظة تمر من حياتنا قابلة للإعادة ، ربما ، لكن الأقوى في الأمر هو أن رئيس البنائين لا يتمنى ان ما كان لم يكن ، ذلك لأنه لا يشعر قط بأنه قد سلك مسلكاً ينبذه العقل وتمجه الإرادة .

لا محل للندم إذن ، فإن أجبنا القئلة – على حد قول سارتر – هو من يندم على جريمته . وإذا القينا نظرة على مستقبل رئيس البنائين بعد قراره الخطير لا نلمح ظلاً من الندم . لقد تعذب وشقى وشرد ونبد ، لكن الندم لم يعرف طريقه إلى مصيره . وهو في ذلك أشبه بأوريسست بطل « الدباب » .

وفي بداية المشهد الثالث يستبد القلق برئيس البنائين ، طالما أن عليه اجتياز تجربة الاختيار . والحق أن الحرية ذاتها هي التي تولد القلق الذي يمزق النفس عند الإقدام على الفعل . ورغم أن موجة القلق والجزع فيها نبيل الإنسان ومعدنه الفريد كمخلوق يشعر بوجوب اتخاذ موقف من الوجود ، إلا أن الحرية ليست بالأمر الهين ، ولهذا ففي لحظة ضعف وتخاذل نرى رئيس البنائين يلوذ بفكرة « الجبرية » لينجو بجلده من هول القلق النفسى المقترن بالإقدام على الاختيار .

ونرى رئيس البنائين يتوق إلى التخلي عن إنسانيته ليحيا حياة الأشياء فنراه يقول : « وددت أن أكون مثل حجارتي لا يتطرق إلى ذبول ولا تطولني شيخوخة .. » يحاول رئيس البنائين في هذه العبارة أن يكبت شعوره الحاد بالحرية حتى ينعم من خلال قمص الحماد بالطمأنينة وخلق البال . وإذا نم قول رئيس البنائين ذاك عن حنين دفين إلى وجود الأشياء ، فلأنه يلمح أن هذه الأشياء كائنة بالفعل ، لا تقع عليها مسئولية اختيار قيم وأهداف في حين أن حياته هو لا يمكن إلا أن تكون متقلبة تتذبذب باضطراب بين الوجود والعدم .

الزوجة :

مباركة زوجة رئيس البنائين . لقد صورها ثيوتوكا على صورة فريدة . الطهر والنقاء كله فيها . الوفاء لزوجها طابعها وتبجيله رائدها . تسهر على راحته ، وتفتديه بحياتها .

إنها تحب زوجها رئيس البنائين ، ولا ترى فيه إلا حبها له . وهي فخورة به كل الفخر « فزوجها قد ولد ليصارع الصخور الصلبة ، ليسط عليها سيطرته ، ويعمل فيها صنعة ، ولا تتغير عاطفتها نحوه مهما تغير ، فهو لا زال في نظرها كما كان منذ البداية .

وإذا ما عاد زوجها الحبيب رئيس البنائين إلى البيت بعد عناء اليوم الطويل تستقبله برفق ومودة ، وتهون عليه همومه ومشاقه .

وهي لا تفرض عليه شخصيتها وتطالبه شيء . فهي لا تتدخل في شؤنه إلا إذا كان بوسعها أن تفعل من أجله شيئاً . أما فيما عدا ذلك فهي بسيطة ساذجة ، لا تعنى بأمر سوى زوجها وبيتها وولدها .

وقد أبرز ثيوتوكا في المشهد الثالث من المسرحية شخصية الزوجة خير

ابراز .

لقد وهبت حياتها كلها لزوجها يفعل بها ما يريد . إذا كانت تستاهل شيئاً فليشد قبضته ويمسك بها ، وإلا فليلق بها إلى الرياح تذروها . إنها ترعى البيت والولد ، وتفكر في رجلها فتحس بالسعادة ، ولا شيء أكثر من ذلك .

مباركة انت بين النساء ، يا من تبذلين نفسك من أجل زوجك دون أن تبغى لها شيئاً ، يا من تهوين على زوجك همومه واشجانه وتدخلين البهجة إلى قلبه بصفاء روحك ، وحلو لسانك . إنك لا تشعرين أى ثراء عريض جلبت على حياته ، وأية مكانة عظيمة احتلتها فيها ، أنت الهادئة الضعيفة المتواضعة .

استمعى أيتها المرأة الخيرة إلى ما يقوله عنك زوجك رئيس البنائن :
« ماذا كانت حياتى ستكون بدونك ، أيتها الزوجة التى تبخس حق نفسها ؟
كانت ستكون شيئاً مهلهلاً ، جثة عارية ملقاة إلى الكلاب » .

لكن ، أيتها الزوجة الوفية إلى أى مدى يمكن أن يصل وفاؤك ؟ وإلى أى حد يمكن أن يبلغ تفانيك فى حب رجلك ؟ هل يصل بك حبك وإخلاصك إلى أن تسيرى إلى حتفك طائعة مختارة فى سبيل زوجك ؟

أيتها المرأة البريئة الطاهرة ، هل ستترلين حقاً إلى الحفرة العميقة تحت أعمدة الجسر الذى كتب عليه الانهيار ما لم تقدم ذبيحة لا فتدائه ؟
« اربطونى .. اعطونى ضوءاً .. ساعدونى على التروى .. »

ووطأت القاع .

وأمر رئيس البنائن . وبسرعة ، كما لو كان يطاردهم ألف شيطان ، سد العمال المهرة المهيئون الحفرة ، فى سبيل مشروعهم الكبير . أحضروا

الأدوات والجير والملاط . ودحرجوا الحجر ، ودقوا . ، وأغلقوا الحفرة
على المرأة بإحكام ، خشية أن تفلت منهم .
ورقدت الجميلة في الحجر .

وإلى الأبد ، ستسند روحها دعائم عملهم ، هذا العظيم . وسيجعله جمالها
مزهراً . وستبعث وداعتها فيه السكينة . وطيبتها ستضفي عليه الوداعة . .
المرأة الوديعه ، الخاضعة ، البريئة ، تؤخذ غدرا ، وتدفن حية . على أنها
اختارت التصحية من أجل سعادة زوجها ، حتى تزول عنه نعمته ، ويعود
الهدوء إلى قلبه ، والراحة إلى باله .

وما قيمة حياتها في سبيل زوجها ؟

لترقد في الحجر ، من أجل أن يحقق حبيبها ما كان يطمح إلى تحقيقه ،
ولتذهب إلى جبال النسيان ، ووديان الصمت ، عن طيب خاطر ، مفعمة
القلب بالحب ، بذرة تدفن في التربة حتى تنبت شجرة طيبة الثمرة .

يحرص ثيوتوكا مرة أخرى على تأكيد أن الإنسان حر ، سواء أمام الآلهة
أو أمام الشياطين ، فراه يعود إلى إبراز هذا المعنى بالنسبة للزوجة التي تسير
إلى حتفها ، مقررأ أنها اختارت ذلك الطريق . لقد بصرت بمصيرها وبالرغم
من ذلك قبلته وارتضته . ولقد تأكد ذلك في أكثر من موضع ، فنجد الرسول
يفصح لما هو مطلوب منها ، ويوضح ما هو في انتظارها . كان العدل يقضي
بذلك حتى لا تساق المرأة الوفية الطاهرة التي حتفها كحمل غرير يساق إلى
الذبح . ثم بعد أن ماتت الزوجة ودفنت في عمائر الجسر نرى رئيس البنائين
يقول للعجوز مبرراً مسلكه : ماذا أفعل لك ؟ لقد كانت على وفاق مع نفسها
ومع ربها .

هذا ، وإننا إذا وضعنا الزوجة ورئيس البنائين وجها لوجه أمام الضرورة التي

نجحت على حياتهما ، وراعيها أن إرادة رئيس البنائين تمرد على الضرورة ،
وإن إرادة الزوجة انصياع للضرورة ، فإتينا نلمح نوعاً من التقابل بين
« الرواقية » و « الايقورية » على ما سبق أن أوضحناه بشأنهما فيما سلف .
وربما كانت أكثر المآسى الإغريقية اقتراباً في فكرتها من تضحية زوجة
رئيس البنائين بنفسها في سبيل طموح زوجها بدافع من حبها له هي « مأساة
إفيجينيا » التي كتبها يورويديس عام ٤٠٥ قبل الميلاد .

كانت « افيجينيا » ابنة « اغاميمنون » الملك والقائد العام لجيوش اليونان
التي عبثت لتغزو طروادة انتقاماً من ابن ملكها « باريس » لاختطافه « هيليني »
الحميلة زوجة شقيق « اغاميمنون » وهو « الملك مينيلوس » . هب أمراء
اليونان تحت امرة « اغاميمنون » من أجل الثأر لشرفهم . وعندما جهزت
سفن اليونان ، ونشرت قلاعها تأهباً للإبحار إلى المعركة سكنت الرياح ،
فبعث بالكاهن « كالحاس » إلى هيكل « الالهة آرتيميس » للابتهال والتضرع
إليها لتنفخ في الرياح الحامدة . وما لبث أن عاد الكاهن حاملاً شروط « آرتيميس »
لتحريك الرياح . لقد طلبت ان يضحي على مذبحها بأجمل وأطهر عذراء
في بلاد الإغريق ، وهي « افيجينيا » بنت « اغاميمنون » .

إن حكمة الآلهة أعلى من أن يتركها البشر الخاطئون بعقولهم القاصرة ،
وجريهم وراء الأهواء والمنافع الدنسة . إلا أن طلب « آرتيميس » جعل
« اغاميمنون » القوي الذي بلغ من اعتزازه بنفسه وخطوته أن قتل ذات يوم
ظبي « آرتيميس » المفضل — جعل ذلك الطلب « اغاميمنون » بين تارين :
أن يضحي بابنته العزيزة « افيجينيا » أو يفقد شرفه ، وينكص عن واجبه
فتلحق الهزيمة والعار ببلده كلها . حقاً ، إن « الملك اغاميمنون » — مثل رئيس
البنائين — ما كان يتوقع أن يأتي يوماً كهذا قط ، هل يختار الجبروت وقسوة

القلب فيرى ابنته الحبيبة تذبح في معبد ارتيميس ، أم يختار الإشفاق والضعف
فيفض الحرب لمجرد الإبقاء على حياة ابنته . ؟

جاءت « افيجينيا » من « ارجوس » حيث كانت تقيم مع أمها « كليتمنسترا »
بناء على دعوة من أبيها على زعم إنها ستعرف إلى البطل المغوار « أخيلياس »
لكن الفتاة البريئة لا تجد الجحوى الذى فى استقبالها جو عرس وفرح . فها هم
الأمراء والقادة ينتظرون قدومها كما انتظر البناؤون والمساعدون زوجة رئيس
البنائين لدفنها فى أساسات الجسر .

إن « افيجينيا » تحب أباهما حبا جما وتترك أن التضحية المطلوبة منه إنما هى
أداة لواجبه ، فلم تأخذ له ، ووضعت عنقها فى شجاعة على مذبح ارتيميس
ليطبخ به كاهنها الأكبر فتنتلق الرياح من عقالها وتمضى هى فى موكب
العذارى الذى يتبع الآلهة « ارتيمس » فى رحلاتها المقدسة .

إن « افيجينيا » و « زوجة رئيس البنائين » و « جان دارك » و « عروس
النيل » صنف من البطلات يدفعهن الحب إلى أن يصرن كالبذرة تلقى فى
الأرض فتنبث الشجرة الخضراء وارفة الظلال .

إنما « زوجة رئيس البنائين » فداء تحول إلى خلود ، قربان قدم على مذبح
الحب ، ورمز عميق للخصب والنماء ، ونسمة نقية هبت فى جو ملبد بالأطماع
والشراسة ، واللهفة الدامية إلى الانتصار مهما كان الثمن .

مساعدة رئيس البنائين ، وبناؤوه ، والحارسان :

انهار جسر آرتا للمرة الثالثة فى مدى شهر . يهيم البناؤون ليلة الحادث
فى الظلام من درب إلى درب مثل اللعنة المعتمدة متعانقين ، وقد خيمت
عليهم التعاسة . تبا لكدهم والحسران على عملهم . الأيام الطوال

ينون ، وبالليل يهدم ما بنوه . خمسة وأربعون بناء ، ومن الصبيان ستون ،
ينون على نهر آرتا جسرا . طيلة الأيام ينون ، ثم يمسي بالليل منهاراً .

وفي المشهد الرابع من المسرحية يبدو البناؤون جماعة تستحث رئيسها
على أن يتخذ قراره الوحشى . ويلعب الخوف والقصور دوراً هاماً فى تحويل
الجمع إلى كائن جماعى قادر على إتيان أفعال من العنف والوحشية ، قد تكون
غريبة عن كل فرد من الأفراد المكونين للحشد ، ولا يقدم على إتيانها لو كان
وحده غير منضم إلى هذا الحشد المنطلق فى طريق خاص به . ويصرخ رئيس
البنائين فى مساعدته : السنا وحوشا كواسر ؟ أنظر إلينا جيداً ، وإلى نفسك
أيضاً ، لو استطعت أن تجد مرآة . ماذا ترى سوى قطع من الوحوش الضارية
جمع بينها تعطش مظلم إلى الدماء ، وإذا شمت رائحة الصيد قبعت مترقة
متحفزة . دحك إذن من الحجل ، ولنكف عن إخفاء وجهنا الحقيقى !

كلا ، إنهم ليسوا كذلك ، ورئيس البنائين إنما يتكلم مثل مريض أو طفل
غريب . إنهم صناع شرفاء عاملون ومقدرون للتبعة ، بهم شغف إلى عملهم ،
ويتوقون إلى انجازه ليخلصوا من اللففة التى تعذبهم . إنهم سيقدمون التضحية
المطلوبة منهم . إنها ضرورة ، حاجة ملجئة ، إنها لعنة ينحنون ويرضخون
لها ، وليست مهمتهم أن يتصارعوا مع الشياطين ، بل أن يبنوا حجراً فوق
حجر بإيمان ورجولة وشجاعة .

وتجىء الزوجة إلى عمائر الجسر ملبية دعوة رئيس البنائين العاجلة ، فتجد
البنائين قد علاهم الصمت والوجوم .

ويشفق عليها مساعد رئيس البنائين ، فيحاول أن يخفف عليها تأثير الكارثة
التي ستحل بها ، فيروى لها قصة من نسج خياله عن أن خاتم زواجها قد وقع
من يد رئيس البنائين فى حفرة عميقة تحت الصف الأول من أعمدة الجسر ،

وأن البنائين قام في روعهم أن هذا نذير شؤم ، وأنه لكى ينقض السحر لابد أن تتزل هي .

وتتزل الزوجة عن طيب خاطر . وتتعلق الأنظار والقلوب بشفتي رئيس البنائين في انتظار القرار الحاسم . الجموع في حاجة إلى كلمة إيدان من القائد ، كى تتحرك فهي لا تستغنى عن القائد الصارم الذى يعرف كيف يصدر أوامره . يهيب الجمع برئيس البنائين على لسان مساعده أن أشفق علينا . أحكمنا ، ولا تتركنا نهيا للضياع ، تتقاذفنا الرياح ويمزقنا التردد . انطق بكلمتك .

ورئيس البنائين عليم برعيته . يعرف أنه إذا انصرفت الضحية سيجرون بعد قليل مثل المجانين ليعودوا بها . ما من مفر . وهو إذا تخاذل وتراجع ستسقط هيئته وتمرغ في الأوحال . لو أقلت منه الزمام مرة لكبا الجواد ، ولالتى راكمه أرضاً . لقد وضعوا الحبل في يد رئيسهم وأسلموا أمرهم لإشارته ، ليشفق عليهم من مرارة الانتظار ، لينحمل هو كل المسئولية وليتصرف .

فتيان ملتهبون هم هؤلاء العمال المساكين ، متوحشون وأبرياء ، أما القائد والزعيم رئيس البنائين فهو رجل المصائب ، فقد فكر وقرر ثم أمر . وهو المسئول عن القرارات والأوامر ، أما الجموع فهي رهن الإشارة تنفذ ما تؤمر به بدافع من الثقة العمياء والتفانى .

ما هو أساس الخضوع لمن يتولون مقاليد الأمور ؟ الإجابة الشافية لهذا التساؤل أن الخضوع يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالاعتقاد فى صلاحية أولياء الأمور للقيام بشئون الجماعة .

وإذا كانت الكفاية والصلاحية هي السند الذى يستند سلطنة الأمر والنهى ، فإن الخضوع يستمر باستمرار قيام ذلك الاعتقاد أو تلك الثقة ، وبالتالي كان على من يخضع لأمره على أن يعمل على أن يستمر ذلك الاعتقاد لدى جمهوره . ومن

ثم أن تستمر صلاحيته وكفايته . وهكذا يمكننا القول بأن الخضوع لرئيس البنائين يقوم على اعتقاد البنائين في صلاحيته لتحقيق مطلبهم .

قد تكون لرئيس البنائين أطماع شخصية ، لكن كي يحمل جموع بنائيه وصبياناه على الانضواء تحت لوائه والسير معه نحو تحقيق مآربه كان عليه أن يصور لهم هدفه على أنه ذو أبعاد أعم من مجرد مقصده الخاص ، وأن يقرن هدفه بهدف رعيته . وهكذا يكون ما يتحقق في النهاية ذو بعدين : بعد أول هو مطمح رئيس البنائين الذي تحقق ، وبعد ثان هو مطمح أتباعه الذي أضحى حقيقة ملموسة بدوره . ها هو رئيس البنائين عندما يهيب بالبنائين أن يتخلوا عن تحاذلهم وتراجعهم يقول : « في سبيل مشروعا الكبير .. تجلدوا .. تحمسوا .. هيا ، يا رجالى . » وهم يقولون : « تعالوا بنا لنخلص .. لتحرر .. لنعد بشراً من جديد . »

نظرة شاملة إلى التاريخ تكشف لنا عن أنه ينطوى على قسط كبير من الجهد الدائب نحو تحقيق أطماع شخصية وأهداف مشتركة ، حركة مطردة من الزلات والتضحيات الجسيمة . لكن الأمر الذى يجب ألا يغيب عن الحساب هو أن العدد وحده لا يكتفى . فالعبرة بالفكرة الموجهة ، وبالغزيمة التى تلم الشمل حولها ، وتدفع بالجمع قدماً إلى تحقيق تلك الفكرة الخلاقة . لهذا لو لم يكن رئيس البنائين قد أعمل عزيمته الماضية لما حققت جموع البنائين والصبيان الفكرة الموجهة ، ولما بنى جسر آرتا وشمخ فى ضوء الشمس جباراً عالياً مفيداً . على أنه لو لم تقم الفكرة الموجهة ، الفكرة الجذابة المتسلطة على الوجدان والإرادة لما كان لرئيس البنائين شأن . وهكذا يبين الترابط بين إرادة رئيس البنائين وفكرة الجسر التى تسلطت على ذهنه ، وأرقت باله ، وألهمت حواسه ، وقادته كما قاد بدوره مساعديه وصبياناه .

لقد جبلت الطبيعة الإنسانية على عدم خضوع الإرادة لإرادة أخرى خضوعاً غير مكره إلا إذا كانت تلك الإرادة الأخرى تمثل قيمة عليا . وعندئذ يكون في الخضوع عزاء مرده أن الخضوع لن يكون موجهاً إلى إرادة ذاتية ، بل إلى إرادة تؤدي مهمتها ، أي لرجل وإن كان كالأخرين إلا أنه يتقلد سلطة تدعوه إلى أن يأمر ، كما تدعو الغير إلى أن يأتمروا . وبعبارة أخرى إن واجب الرعية في الطاعة لا يتصور إلا متى فهم الأمر الصادر على أنه ترجمة للالتزام أعلى . ومن هنا نفهم أساس خضوع البنائين لرئيسهم من خلال الفكرة الموجهة .
فها هو رئيس البنائين في المشهد الرابع من المسرحية يجري هنا وهناك بين بنائيه مشجعاً : هيا .. عمل .. حرية .. انتبهوا جيداً .. في سبيل مشروعنا الكبير .
إن الاعتراف للرضاء بدور الإقرار والتصديق جائز ومقبول ، أما أن نتظر منه أن يخلق فإن ذلك مغامرة لا يؤمن عواقبها ، وتضحية بصفة المبادأة اللازمة . إن رئيس البنائين يمسك بالزمام ، وبين يديه سلطة المبادأة . وهو يعرف كيف يأمر وكيف يقود وكيف يحكم ، وكيف يلم شمل جنوده حتى لا يتفرقوا فتتبدد جهودهم . ولقد قادهم في معركة جبارة ضد الشيطان ، وانتزع منه قلعة منيعة هي جسر آرتا ، شأنه في ذلك شأن بروميثوس الذي انتزع لشعبه شعلة النار المقدسة من الآلهة . ولقد كان الثمن الذي دفعه رئيس البنائين غالياً ، فضرب بذلك لأعدائه المثل الصالح ، وكان قدوة احتذوها . كان البناؤون همهم هين ، فالضحية لم تكن منهم ، أما رئيس البنائين فتضحيته كبيرة ومأساته مهولة .

لكن الشك ما يلبث أن يدب بين الصفوف . كيف حدث هذا الذي حدث ؟ لماذا هذه الخطيئة ، هذه الكارثة الكبيرة ؟ وما يلبث أن يستقر في روع البنائين أنهم ضلّوا واقتيدوا إلى الشر فقتلوا نفساً بريئة ، فيغلي السخط في

قلوبهم ، وتمرّدون ، ويتقسمون ، ويتضاربون . ولنسمعهم يتصايحون
منفسين عما في أعماقهم من ألم وخزي ورعب : « من كان السبب في هذا
الذنب ؟ من الذى بدأ ؟ من الذى أعمى بصائرنا ؟ كان الأمر خدعة وإفكا
وجبنا . لستم رجالا . أنتم فاسقون .. تهابون .. رعاع أدنياء .. تستأهلون
الرثاء .. كلنا .. كلنا ضائعون ينخر فينا السوس .. كلنا مخاييل . لماذا ؟ لماذا ؟ »

وينادى البناؤون في غمرة غضبهم المشوب بعارهم بسقوط المشروع
الذى خرجوا من أجله ، وبسقوط رئيس البنائين تلميذ الشيطان الذى أعماهم ،
الحائن الذى سحرهم ، الذى جلب عليهم اللعنة .

لكن رئيس البنائين القائد الحنك مايلبث أن يلم شعث بنائيه ، ويسترد
سيطرته عليهم ، فيذكرهم بأنهم قد ذرعوا اليونان معاً خطوة خطوة ،
وصارعوا الحجر سوياً بعشق وألم ، وأقاموا القلاع والقصور والأبراج العالية
تطاول السموات الزرقاء . ويطلب الرئيس من بنائيه أن يكون الشعب وحده
موضع اعتبارهم ، فهو يكن لهم الاحترام ، ويضع ثقته فيهم ، ويتنظر بلهفة
مشروعهم الحديد الذى وعدوه به ، أعظم مشروعاتهم قاطبة . إن أرواحهم
تنتظره بلهفة هى أيضاً ، وإذا لم تشهده شاعراً يلمع في ضياء الشمس كالذهب
فلأنها لن تنجو من العاصفة الهوجاء التى تكتسحها . ويهيب رئيس البنائين برجاله
أن يفيقوا ، ويعدهم ويطمئنهم بأنه لن يتعد من جانبهم حتى يوصلهم إلى
مرقا الخلاص . وليطردوه بعد ذلك ، ولينبذوه ويهجروه . أما الآن ، في
ساعة المعركة فإنه يصيح فيهم إلى الإمام .

ها هو القائد الذى يجمع رجاله حول الفكرة الموجهة ، ويبدد من قلوبهم
اليأس ، ويطرد عنها جحافل الخوف ، وينير لهم الطريق ملهياً حماسهم على
الإقدام ، وينتهى به المطاف إلى النصر ، رغم كل الصعاب .

وبعد أن تم المشروع الجليل الذى بذلت فى سبيله كل تلك التضحيات ،
تفرق الشمل ، وانقض الرجال من حول رئيسهم ، وتنكروا لقيادته ،
وتحاشوه كما لو كان موبوءاً ، فلقد وضع رئيس البنائين نفسه بعمله البطولى
خارج دائرة البشر الذين ما أن يروه حتى يتذكرون مجازفته الحارقة فترتعد
قلوبهم ويلوذون بالفرار .

إن جموع البنائين تحتاج من مخرج المسرحية إلى مهارة ودربة فى تحريكها
لإبراز تلك المعانى التى تتضمنها المحاورات بينها وبين قائدها وزعيمها رئيس
البنائين ، وعلى الأخص فى لحظة تمرد البنائين عليه وتخطيهم فيما بينهم محاولين
تبرئة أنفسهم من دم الضحية التى نزلت البر دون ممانعة من جانبهم بل
وبتشجيعهم وتضليلهم ، ثم استرداد رئيس البنائين زمام الموقف وسيطرته
عليه . إنها مخلوقات شرسة ضارية ، ضعيفة لا حول لها ، فى حاجة إلى أن
تقاد وتسامس ويكبح جماحها .

الأم العجوز :

نظرات الأم العجوز تتغشاها سحابة معتمة مفعمة بالقلق ، كما لو كانت
رؤيتها لابنتها زوجة رئيس البنائين تملؤها خوفاً ، ولكأن ابنتها مصابة بمرض
عضال .

وكيف لا وابنتها من لحمها ودمها ، فإذا ما أحست ظلاً أسود ينجم على
فلذة كبدها تسرى الرعدة فى أعماقها وتتسرب إلى عظامها ، كما لو كان الظل
يتغشاها هي ؟

ما هذا الظل الذى يتغشى ابنتها الحبيبة ؟ فى الأفق كارثة تهدد سعادتها ،
والعجوز ترى مالاتراه ابنتها ، فإن زوجها قد أضحت نظرتة صلبة ، وأمسى
وجهه جامداً كأنه قد من صخر ، وصار شأنه شأن الحجارة التى يعمل فيها . كل

ما فيه من روح وحياة تجمدت ، والإبنة تحب زوجها ولا ترى فيه إلا حبها له ، والحب لا يدعها تبصر التغير الذى تسرب إلى روحه .

لقد عاشت العجوز مع أجيال مختلفة من الرجال : أبوها وإخوتها وزوجها . وهى تعرفهم حق المعرفة . عندما تتحجر نظراتهم وتنضح بالبرود ، وتروح أرواحهم بعيداً خارج عالمنا المستكين ، وتختلط فيها المرارة بالحلاوة والعذوبة ، وعندما يشقون كما لو كان قد دقت فى يديهم ورجليهم المسامير ، وتتخطون فى خضم أحلام مهولة وخرافات وشياطين وأبحرة ، وعندما يعجزون عن الوصول إلى ما هو بعيد المنال ، وأن يتحرروا مما هم فيه ليعودوا إلينا نحن مخلوقات الأرض ، عندئذ حذارى ، لأنهم يصبحون قساة .

لقد رأت العجوز ببصيرتها ما تخبئه الأيام ، وقرأت الغيب . استشعرت بفطنتها التى دربتها السنين ، وبعاطفة الأمومة التى تجيش فى صدرها ما ينتظر ابنتها وزوجها . لاتعرف العجوز بالضبط ماذا سيحدث ، لكنها تحس بأن ثمة نائبة من النوائب ستحل بالبيت فتهدمه ، وتحقيق بسعادة ابنتها فتزلزلها زلزالا .

إن الغيوم تتجمع وتنذر بشؤم كبير . ولقد سمعت الأم المسكينة خطوات الموت يدب فى البيت . هى عجوز تعرفه ويعرفها ، لكنها ليست قادرة على أن تسدى عوناً ، مهما كان المصاب . فليتولى الله الأمر بحكمته وعدله ورحمته . وهى لما تتوجسه تخشى رئيس البنائين زوج ابنتها . وهو يشعر ذلك من نبرات صوتها .

فالعجوز تبدأ دورها مع بداية المسرحية ، وتمهد للعاصفة التى ستعصف ، وتنذر بالكارثة التى ستقع .

ثم تعود العجوز إلى الظهور فى المشهد الرابع من المسرحية بعد أن ضحى

رئيس البنائين بابتها في سبيل تحقيق أطماعه الجائرة - تعود لتشهد إصبع الاتهام وتطلق صرخة الأذى . ابتها ، سويداء قلبها راحت ضحية الطموح والكبرياء . ابتها الرائعة الجمال دفنت في الحجر . الطريق الذي مرت به لم تعد منه ، وراحت إلى جبال النسيان وبئر العدم . اتخذت من الأرض فراشاً وبالصخر تغطت ليقوم جسر آرتا .

يقول البنائون دفاعاً إن للضرورة أحكاماً ، وكانوا هم أدواتها . ويقول رئيس البنائين تبريراً أنه هم أن يوقف ابتها ويصدها فقالت أنها تفاهت مع ربها ، لكن العجوز تصرخ قائلة : أيها الناس المظلّمون ، هل يمكن أن يكون ذلك تبريراً أو دفاعاً ؟ أيها المخادعون القساة البغاة هل يمكن أن يكون ذلك عزاء لقلب أم كليلة ؟ أريد ابنتي ، واللعة على المدينة وعلى جسركم . ليرتجف كلما ارتجف قلبي العجوز .

ثم يأتي الغفران . أولئك العمال المساكين إنما أعمتهم شهوة جامحة هي ضرورة عملهم الشاق ، فاغلقوا على الابنة الحجر متقادين لأمر أعلى من إرادتهم ، فليغفر لهم . أما رئيس البنائين فهل من السهل أن تغفر العجوز له ما فعله بابتها ؟ هل من السهل أن تصفح عن سدد الطعنة إلى قلبها ، وثكلها في أعز مخلوق لديها ؟

وتذكرنا الأم العجوز في « جسر آرتا » بمورينا المرأة العجوز التي اختطف البحر أولادها واحداً تلو الآخر في مسرحية « الميمون صوب البحر » للكاتب الأيرلندي جون ميلينجتون سينج . فتلك العجوز تقول في ختام المسرحية : « التأم شملهم هذه المرة ، وأقبلت النهاية ، فليتعمد الله القدير برحمته روح بارتلي ، وروح مايكيل ، وأرواح شياموس وباتس وستيفين وشون ، وليتعمد روحى بالرحمة يا نورا ، وروح كل إنسان على قيد الحياة في هذا العالم » .

لقد دفن ما يكيل على ما يرام في الشمال بنعمة الله القدير ، وسيعمل لبارتلي تابوت جيد من الألواح البيضاء ، وقبر عميق ، بكل تأكيد . فماذا باستطاعتنا أن نريد أكثر من ذلك ؟ ما من امرئ يحيا إلى الأبد ، ويجب أن نرضى .
على الرغم من اختلاف الموضوع في مسرحيتي « جسر آرتا » و « الميمون صوب البحر » إلا أن الجو النفسي الذي تحققه كلمات كل من العجوزين واحد . لقد وقع ما وقع ، وراحت ضحية أرواح عزيزة ، لكن ماذا بالإمكان غير أن ندفن أحبائنا ونرضى ، وليغفر الله لكل من بقى على قيد الحياة في هذا العالم .

إنه الموقف التليد أمام القدر ، أمام الغول الذي يخطف الأحباء دون أن نقوى على شيء إزاءه . سنصبح ونصرخ ، وتصعد آهاتنا إلى أجواز الفضاء ، سنبكي وناظم الحدود ، ونصب اللعنات على من كان السبب ، لكن عندما يفتر الألم ، وتبع الحناجر ، وتجف الدموع في المآقي ، ماذا يبقى ؟ لا شيء سوى الغفران والسلوى .

عازف العود :

وكما كان العراف « تيرزياس » في مسرحية « أوديب » ضريراً لكنه كان يعلم وحده بلعنة أوديب ، بما حدث له وبما سيحل به ، كذلك عازف العود في « جسر آرتا » عجوز ضرير ، لا يعرف الحاضر قدر رؤيته للغيب . إنه يعزف على عوده وينظر إلى بعيد ، إلى الفضاء المقعم بالرؤى والخيالات ، بالتذر والذكريات . من يرى عماء يستهين بقدرته على الإبصار ، بينما هو مطلع على الغيب ، يرى مأساة الجسر بأسرها ، ومصائر من أحاطوا به وارتبطت حياتهم بدعائمه . إنه يرى الأطماع والآمال ، والحب والتضحية ، والعمل المتجز ، والكفاية الفائقة والإخفاق الذريع .

والمصاحب أغنية العازف الضرب خطوات المسرحية مصاحبة الصديق للصديق ، بحيث تعتبر كلماتها أصدااء مباشرة أو غير مباشرة لمفهوم الحركة الدرامية وأعماقها . إنها الروح النابضة وراء الأحداث .

وتبلغ الأغنية قممتها عندما يفتر الحدث قرب نهاية المسرحية ، فنجد سطورها تمتد معبرة عن الانطباع العميق الذي يحدثه استشهاد الزوجة الوفية على يد زوجها ليقف الجسر على قدميه ، ولنسمع الأغنية تقول في هذا المقام : « ألبسني ثياب العرس ، فلأني أتركك . وداعا . وعندما يجيئك البناء لا تحزنيه . أبسطي له المائدة ليتغذى ويتعشى . وأخرجي خاتم الزفاف وهداياها ، وأعطيها للبناء ليخطب غيري ، طالما أني سأتزوج بدوري ، وأتخذ الموت قريبا » انهدف السمع إلى النغمة الحزينة التي تتردد أصداؤها في هذه السطور ، ولتين كيف تضمنت مفهوم موقف الزوجة . لقد غفرت لقاتلها ، وصفح قلبها المحب عن دفنها حية من أجل طموحه .

والأغنية تعرف كل شيء . الأغنية كانت هناك وهي الآن في كل مكان وعلى كل لسان . ليست الأغاني الشعبية والحواديت والأمثال مجرد كلمات تروى أو تنشر بل هي في الواقع نبع لحكمة لاتنضب ، وتحتوي على حقائق تتناقلها الأزمان . وإن غابت ، من الأذهان الحكمة الكامنة في أعماق الأغاني والحكايات والأمثال فليس الذنب ذنبها ، بل هو ذنب عالم محبول مرتج الصواب ، أعنته الحركة الجنونية التي تمضي عليها حياته بلا أناة أو روية . أيها الرجل الحكيم تشبث بأي ثمن ، وعلى الرغم من كل شيء بالجمال الذي يولي في كل خطوة من خطوات الزمن . أبق نافذتك مفتوحة على مصراعيها لتطل على الرؤى التي تبدو أكثر جلاء عندما تغمض عينيك . والأغنية الشعبية البسيطة الساذجة حديقة يلتقي فيها الخيال بالحقيقة ، وتردد في كلماتها أصدااء المجهول من أغوار مسحية .

تشابك مسرحية ثيوتوكا بكلمات الأغنية الشعبية ، وتجسم معانيها . وفي الوقت ذاته تناسب سطور الأغنية في انسجام مع حوار المسرحية . وكما تتجاوب الأوركسترا في الكونشيرتو مع الآلة المنفردة ، كذلك تتجاوب المسرحية مع الأغنية . وإذا كان للأغنية الفضل في الإيحاء ببناء المسرحية فإن المسرحية تعمق من مفهوم الأغنية ، وتجلوها ، فيبدو معدنها الأصيل ، وإنسانيتها العميقة . وربما ما وصل مستمع الأغنية إلى كل جوانبها ، وما سبر أغوارها البعيدة إلا بفضل المسرحية التي أحالت الأغنية العادية إلى صرح درامي وطيد . وفرق أن تستمع إلى نغمة خام ساذجة وبين أن تستمع إلى هذه النغمة ذاتها وقد تناولتها يد موسيقى ملهم ، فاجرى عليها التنويعات العديدة ، وأقام عليها عملاً كلاسيكياً لا يفتر .

وكما أنه لا جدوى أن يثور التساؤل حول ما إذا كان « أوديب الملك » مجرد أسطورة – إذ أنها صعبة التصديق بحرفيتها بل وقد تحمل على السخرية منها – كذلك فإن « جسر آرتا » صعبة التصديق كحادثة تاريخية ، لكن الأمر المؤكد أن ثيوتوكا مثل سوفوكليس لم يكثرث بلا معقولية الحدث في حد ذاته بل وجد فيه إطاراً صالحاً ليفرغ فيه وجهة نظره إلى الإنسان والقلر .

ولقد فطن سوفوكليس إلى الإيقاع المأساوي في أسطورة أوديب كما فطن ثيوتوكا إلى الرنة المأساوية في الأغنية الشعبية التي قد لا يلتفت عامة المتغنين بها إلى ما فيها من ترجمة للوضع الإنساني بأسره .

لقد صارت الأغنية على يدى ثيوتوكا تفسيراً للحياة الإنسانية . ولهذا فراه لم يلتزم بالأغنية الشعبية بكل حذافيرها ، وذلك حتى يصل إلى تنمية معناها الجوهرى ، وتوسيع أبعاده ، فقد اكتشف ثيوتوكا الهدف الأصيل من الأغنية ، كما اكتشف سوفوكليس الهدف الأصيل من أسطورة أوديب ، إنه الإيحاء بالرمز الكبير .

وذلك الرمز يبدأ من عنوان الأغنية ذاتها . لماذا اختار رئيس البنائين أن يبنى جسراً؟ أو بعبارة أخرى لماذا اختار ثيوتوكا — ومن قبله الأغنية — أن يكون ما بينيه رئيس البنائين ويعجز عن بنائه المرة تلو المرة جسراً على نهر آرتا؟ لماذا لم يكن ما بينيه رئيس البنائين سوراً أو قصرأ أو قلعة أو دارأ للعبادة أو ما شاكل ذلك من العمائر التي يحتاج بناؤها إلى الجهد والصناعة والمهارة أيضاً؟ إن سبب إقامة المسرحية على بناء جسر لم يكن اعتباطاً أو من قبيل الصدفة، بل كان أمراً مقصوداً ومدروساً على أساس من الفكرة التي نسجت حولها الأغنية ثم المسرحية، ألا وهي فكرة الحرية. إننا إذا تأملنا الإرادة ووضعها في هذا الوجود فإننا سنجد أنها تتوسط عالم الفكر وعالم المادة. إنها المعبر بين الصورة وتحققها، فهي إذن جسر بين العالم الداخلي الذي تعمل فيه التصورات والرغائب وبين العالم الخارجي الذي تتحقق فيه تلك التصورات والرغائب. إنها إذن جسر يجتازه المستقبل ليصير حاضراً ثم ماضياً، جسر بين الغايات وتحقيقها، جسر بين الذات والموضوع، بين الفكر والوجود، بين الوجود كصورة والوجود كشيء متحقق، بين الوجود المعنوي والوجود الملموس. إن إرادة الفنان هي المعبر بين الخيال وبين العمل الفني، بين تصوره لتمثال وبين التمثال المصنوع، هي الجسر بين هبة الإبداع الذي يتصف به الفنان وبين ما أبدعته ملكاته فعلاً.

وكما احتاج جسر آرتا إلى جهود لبنائه ولقي صعاباً اقتضت تذليلها، كذلك الفعل الحر لا يأتي سهلاً بلا عناء، بل هو يزلزل كيان النفس، كما يزلزل كيان الطبيعة، وهما العالمان اللذان يربط بينهما الفعل الحر كجسر يربط بين ضفتين على نهر يشقهما ويحول دون التقائهما.

إن الجسر ذاته رمز كبير، والإرادة هي الجسر بين الممكن والمتحقق، بين

الباطن المضطرب والظاهر الذى هو الصورة المتحققة لذلك الباطن المضطرب ، بين الشعور والممارسة . وتدور المسرحية فى تلك اللحظة الحاسمة التى تتوسط الفكرة وتحققها ، أى لحظة الإرادة ، فرئيس البنائين ويحانه زوجته ومساعدوه قد نقلوا الجسر من مجرد فكرة أورغبة إلى حقيقة فعالة . صحيح أن الجسر لم يتم إلا عبر الدماء والعرق والدموع ، إلا أن هذا هو ما يصاحب فعالية الإرادة باعتبارها حركة موصلة ، وانتقالا بين عالين لا التقاء بينهما إلا بتلك المعاناة التى هى سمة الإرادة باعتبارها فرضاً ناعلم الداخلى على العالم الخارجى ، وبدونها تبقى الروح جوهرأ منفصلا وشكلا بلا مضمون ، فى حين أنها ليست كذلك الأعلى المستوى النظرى فحسب .

أخذ ثيوتوكا إذن روح الأغنية ، وتلقف فكرتها الأساسية، وبنى عليها عمله المسرحى الذى تقدمه على هذه الصفحات ، لكنه أضاف أيضاً إلى الأغنية وطورها ، ونمى أبعادها ، وأضاف إليها أحداثاً ونتائج وتعليقات وتعليقات هى التى خلقت من خلال الحوار والمشاهد العمل المسرحى الذى يحمل ذات الاسم الذى تحمله الأغنية . وهذا الذى فعله ثيوتوكا فى أغنية «جسر آرتا» فعله توفيق الحكيم عندما فى مسرحيته «إيزيس» فقد أخذ أسطورة «إيزيس وأوزيريس» الفرعونية ، وعرض من خلالها كثيراً من الآراء الفلسفية والاجتماعية ، ونمى فكرة الحب والوفاء . كما فعله أيضاً نجيب سرور عندما تناول أغنية «ياسين وبهية» وصاغ منها مسرحية شعرية من صنف «جسر آرتا» .

وكما اختصر الكاتب الفرنسى جان كوكتو فى صياغته الحديثة المركة لمسرحية «أنتيجون» الكورس فى مشهد واحد ، عمد جورج ثيوتوكا إلى الاكتفاء بمازف العود الذى تمضى كلماته تتابع الإيقاع التراجيدى فى

المسرحية وتضبطه وتعمقه بما تنطوى عليه تلك الكلمات من إحياء إلى ضراوة الطموح البشرى ، وطهارة التضحية المبنية على الحب ، والإيمان بنظام طبيعى له قداسة الالهيات .

وبينما تدور أحداث المسرحية حول حقائق محزنة تخفف الرنة الشاعرية فى كلمات العازف الضرير من جراح العالم الواقعى . لنستمع اليه يقول فى إحدى فقرات أغنيته : « طالما تأهبت للذهاب فى الرحلة البعيدة أرجوك أن تقولى لأملك متى ستعودين للبيت ، حتى يكون لى رجاء ، ولا يزول عنى الأمل ، وحتى أملأ لك الفناء زهراً ، وأفرش لك ورداً ، وأجهز لك طعاماً للغداء وللعشاء ، وأعد لك سريرك لترقدى وتنامى » ثم تمضى الأغنية لتشدو فى موضع آخر منها قائلة « مخطوطة هى الجبال ، مخطوطة هى الحقول . إنها لا تنتظر موتاً ، ولا قاتلاً تتوقع ، بل تنتظر ربيعاً ، وصيفاً جميلاً » .

حقاً ، إن أسلوب ثيوتوكا فى « جسر آرتا » أسلوب يتسم بالصفاء والوضوح فى كل لحظة من لحظات المسرحية ، وإن كان فى جوهره يسير قدماً نحو تأملات بالغة العمق .

وكما كان يفعل سوفوكليس فى نهاية مسرحياته عندما يتكلم رئيس المنشدين مجملاً للنظارة الهدف مما رأوا ، مقدماً لهم العظة والعبرة من المسرحية ، نجد ثيوتوكا فى المشهد الختامى من « جسر آرتا » يفعل المثل . فهذا المشهد قد يبدو خطاياً وغير مسرحى إلا أنه فى الواقع إحياء للتقليد الاغريقى . ولا يحق لنا أن نتصور أن « جسر آرتا » قد اكتملت درامياً بعد مشهد بناء الجسر بحيث نخيل لنا أن المشهدين الأخيرين عديما الحدوى فى نماء المسرحية وتطويرها ، إذ يجب أن نضع فى الاعتبار كيف بنى ثيوتوكا مسرحيته ، جاعلاً منها تنويراً لجوانب الأغنية أكثر منها حركة مطردة إلى اللحظة

الأخيرة . ولقد استعاض في هذين المشهدين عن قوة الحركة بجمال الشعر وشفافيته .

وأخيراً ، إن جورج ثيوتوكا الكاتب اليوناني المعاصر سليل الاغريق عرف صنعتهم ، وسبر أغوار عبقريتهم ، ثم قام بتجربته «جسر آرتا» فكانت تجربة جمعت بين الاصاله وفهم الأقدمين . واجه ثيوتوكا فكرة تجاوز الحدود وفكرة التكفير وفكرة أن الانسان ليس ضحية فحسب ، بل هو مذنّب جلاب للشقاء ، وأضاف إليها تجربة المسرح العالمى : مسرح شكسبير ، ولوركا ، وسارتر .

نعم عطية

تنويه واعتراف

والآن أفرغ لأنوه بفضل أعضاء لجنة المسرح العالمى فى نشر هذا العمل .
لأول مرة فى تاريخ المسرح العربى ينقل إليه أثر من المسرح اليونانى الحديث
أو المعاصر ؛ ولكن أعضاء اللجنة ما أن اطلعوا على « جسر آرتا » حتى وافقونى
على أنها محاولة تستحق أن تنقل لقراء اللغة العربية .

وأنخص بالذكر منهم الدكتور محمد محمود السلامونى والدكتور محمد سمير
عبد الحميد والأستاذ أحمد عباس صالح والدكتور محمد اسماعيل الموائى .
والأخير ان كانت لهما ملاحظات على المقدمة أدت إلى تبسيطها واختصارها .
كما أن الدكتور الموائى قد أطلق عليها الاسم البديل « الثمن الفادح » لكى يقربها
إلى الأذهان .

نعيم عطيه

٦٤
جِيزْ آرْ شَا
أو
الْثَمْنُ الْمَنَاجِ

شخصيات المسرحية

— رئيس البنائين

— الزوجة

— العجوز

— المساعد

— عازف العود

— الشبح

— عابر السبيل

— البحارة الأولى

— البحارة الثانية

— الحارس الأول

— الحارس الثاني

— مواطن

— عمال ، فتيان وفتيات ، قساوسة ، ومواطنون .

مشاهد المسرحية

- المشهد الأول : في بيت رئيس البنائين ، ليلا .
- المشهد الثاني : عند منشآت الجسر ، الليلة ذاتها .
- المشهد الثالث : في بيت رئيس البنائين ، الليلة ذاتها .
- المشهد الرابع : عند منشآت الجسر ، في صباح اليوم التالي .
- المشهد الخامس : بعد سنوات عديدة ، عند أبواب المدينة .

المشهد الأول

(في بيت رئيس البنائين ساعة الغروب . تهز الزوجة أرجوحة طفلها ، وتغنى بصوت خفيض)

الزوجة : نعم ، يا من بعثت أطلب لك من المدينة ذهباً ،
ومن فينيسيا ثيابك وحليك .

نعم ، يا من يحكيون في المدينة غطاء سريرك ،
ويزينه لك اثنا واربعون نساء ،
يضعون في الوسط نسرأ ، وفي الطرف ينسجون
طاووساً .

نعم ، يا من أبوك ملك ، وكان جدك سلطاناً .
(يسمع رنين أجراس . تتوقف الزوجة عن
الهدلة . وتتطلع إلى النافذة) ما الذي حدث ،
أيتها العذراء ، لتدق أجراسك في مثل هذه
الساعة ؟ دعى النوم محل بنا في هدوء وسكينة ،
وما قد بدأ يداعب أجفاننا فعلاً .

(تعاود الهدلة)

أيها النوم الذى تأخذ الاولاد ، تعال خذ هذا
الوليد ايضا . صغيرا ، صغيرا أعطيه لك لتعيده
إلى كيرا ، كيرا مثل جبل عال ، وممشوقا مثل
شجرة سرو وتمتد أغصانها شرقا وغربا .

(تدخل العجوز ، فتشعر الزوجة بحضورها)
هل عدت من قداس المساء ، يا أماء ؟

العجوز	: أجل ، عدت .
الزوجة	: هل أشعلت أربع شموع للعدراء ؟
العجوز	: أربعا ، حسبما طلبت .
الزوجة	: هل صليت من أجل الجميع ؟
العجوز	: قمت باللازم .
الزوجة	: أنا ما عدت أبجد الوقت ، لكن ما دمت أنت تتلين الصلاة ، فالأمر سيان .
العجوز	: لا بأس . ربما أخذت العدراء ، الأمر على هذا النحو . لقد عرفتنا جيدا ، ونحن نشعل لها الشموع ونقضى اليها بصغائرننا ، كل هذه السنين ،

الزوجة	: منذ قليل بدالى ، وأنا أهدهد الطفل ، أن الأجراس قد دقت .
--------	--

العجوز	: سمعتها أيضا .
--------	-----------------

- الزوجة : هل شيعت جنازة أحد ؟
- العجوز : لم أر ميتا .
- الزوجة : ربما شبت النار في البلد ؟
- العجوز : لم نسمع بمثل هذا الحديث .
- الزوجة : إذن ، لماذا تدق الاجراس ؟
- العجوز : من يلرى ؟
- الزوجة : نام طفلى .
- العجوز : إني أراه .
- الزوجة : أنظري كم هو رقيق ووديع .
- العجوز : مثلما كنت أنت في سنه . ولم تفارقك الرقة والوداعة حتى بعد أن كبرت .
- الزوجة : تحسبينه ملاكا صغيرا من ملائكة التصاوير المقدسة نيط به أن يرعى سيدتنا العذراء ، وأن يجرى مليا طلباتها ، ولكن هذا الشاطر نسي عند قدميها وغلبته سنة من النوم . أنه بلحميل ، أليس كذلك ؟
- العجوز : رعته عناية السماء .
- الزوجة : سيدتنا العذراء طيبة ، ولا تغضب من مثل هذه الصغائر . إنها ترنو إليه من كرسيها العالى وتبتسم له . أماه ، لم تنظرين إلى هكذا ؟

العجوز : كيف أنظر اليك ؟

الزوجة : نظرتك تغشاها سحابة معتمة ، مفعمة بالقلق ،
كما لو كانت رويتي تملؤك خوفا ، كأنني
مصابة بمرض عضال .

العجوز : أنت ابنتي ، ومن دمي . ومن ثم عندما أحس
ظلا ينجم عليك ، تسرى الرعدة في أعماقي
وتتسرب إلى عظامي ، كما لو كان الظل يتغشاني
أنا .

الزوجة : لا ينجم على أي ظل ضار ، يا أماه . أنا مثل
الأرض الطيبة ، مثمرة وأتدفق فرحا في
الشمس ، وزوجي هو الشجرة الكبيرة التي
تبسط على أغصانها المورقة ، ويدود غنى الأمطار
الهائلة ، والقيظ في ظهيرة الصيف . وأحس في
كل ساعة من ساعات النهار والليل يجذور
تلك الشجرة مغروسة في أعماقي تشلني بقوة
إلى جذعها .

العجوز : نظرتة أضحت صلبة ، وأمسى وجهه جامدا
كأنه قد من صخر ، وصار شأنه شأن الحجارة
التي يعمل فيها . كل ما فيه من روح وحياة قد
تمحجر .

الزوجة

: ولد زوجي ليصارع الصخور الصلبة التي
تنجبها هذه الأرض العتيقة ، ويبسط عليها
سيطرتة ، ويعمل فيها صنعته ، ويقدم بواستطها
صلواته إلى الله ، ويبلغ تعالىم الله إلى البشر ، لكن
عمله شاق يثقل روحه ، ولا يتزاح الحمل عن
كاهله الا بالليل عندما يروح في النوم إلى
جوارى ، فيعود من جديد إلى سجيته ، بوجه
مثل وجه صبي صغير وديع ورقيق .

العجوز

: أنت تحبينه ، ولا ترين فيه الاحبك له ، فواجبك
وحقك أن تمتلئى بالحنان على الرجل الذي
تزوجك شرعا ، وأن تؤمنى به ، لكن الحب
لا يدعك تبصرين التغير الذي تسرب إلى
روحه ، ولا ترين أمامك دائما إلا الفتى
الوضيء الذي دخل ذات يوم ، مثل ملاك ،
بستان أبيك المزهري ، وأخذك من يدك ، وأعلن
خطوبته لك .

الزوجة

: وما الذي يعنيني لو كان قد تغير ، يا أماء ،
ظالما أنه لا يزال في نظري كما كان منذ البداية ،
مترن ، وقور ، ممتلىء بالافكار والاحلام ،

مستقيم ، قوى مثل الأعمدة الذى يرسبها ، ثم
جاء الليل انقلب صبيا رقيقا يرنو إلى بنظرة
حزينة فى ضوء المصباح ؟ أم ربما تغير ما هو
مقدر لى ، ولم أعد امرأته المختارة التى يوليها
إخلاصه ، ويكفل لها راحة البال ؟

العجوز : تتكلمين عن نفسك ، يا بنية ، لكن سعادة
هذا البيت لم تعد مسألة تخصك وحدك .
أنسيت أن ثمة مخلوقا آخر يعتمد عليك فى هذا
الوجود ؟

الزوجة : ليس لولدى أن يخشى شيئا . إنه ابن بناء ذائع
الصيت ، إنحدر عن أجيال من الصناع
المجيدين ، جيلا بعد جيل ، وأبا عن جد حملوا
إليه أساليب الحرفة وأسرار الحجارة ، ويقف
وراءه بناؤو «ايكاتوندا بيليانيس» و «القديسة
صوفيا» وبناؤو «ميسثرا» - كل الاجداد
البحسورين الذين كانوا يعبدون الآلهة القديمة ،
ويقومون على قمم الصخور الشائعة صفوفا من
الأعمدة البيضاء تبدو من بعيد كما لو كانت تمايل
مع الريح مثل الطيور. سينظر الناس إلى ابنى
بعين الاعتبار والاحترام ، وسيأتى اليوم الذى

تنتصب فيه أبراجه هو الآخر قائمة إلى جوار
عمائر أبيه ، كأنما حياة زوجي قد تفتحت بعد
خمود ، كأنما الكفاح القديم المضني الثقيل الذي
لا نهاية له قد بدأ من جديد .

العجوز

: من شأنك أن تتطلى إلى المستقبل بتفاؤل ، وأن
تنسجى الأحلام ، وتسبحى فى الخيالات ، أما أنا
فمن شأنى أن أتعذب مع الماضى والذكريات
التي لا تزول . عشت مع أجيال مختلفة من
الرجال . فى أول الأمر كان أبى هو السيد
المطاع ، ومن بعده تولى اخوتى مقاليد الأمر
والنهي ، ثم كان ذلك الرجل الذى اتخذنى
زوجة له فأنجبتك . ماتوا جميعا ، ولكن
صدقينى ، إنى عرفتهم حق المعرفة . عندما
تتحجر نظراتهم وتنضح بالبرود ، وتشعرين أن
روحهم قد نسيت بعيدا ، خارج عالمنا
المستكين ، واختلطت فيها المرارة بالحلاوة
والعذوبة ، وعندما يشقون كما لو كانوا
مسمرين إلى خشبة الصليب ، فى خضم أحلام
مهولة وخرافات وشياطين وأبحرة ، وعندما
يعجزون عن الوصول إلى ما هو بعيد المنال ،

وأن يتحرروا مما هم فيه ليعودوا إلينا نحن
مخلوقات الأرض ، نحن النساء المتواضعات
باجسادنا العلية وقلوبنا الجريحة ، عندئذ ،
حذارى ، حذارى أنهم يصبحون قساة .

(بينما تتكلم العجوز تسمع دقات الأجراس
مصحوبة بهمهمات الجموع)

أصوات : اللعنة على الجسر ! اللعنة على المدينة ! احترسوا
من الشر !

(تدخل بضع جارات وصغارهن)

الحارة الأولى : يا جارة ، ما هذه النكبة الجديدة ؟

الحارة الثانية : أنها المرة الثالثة ، يا للمسيح والعذراء ! إنها
المرة الثالثة !

الزوجة : ماذا حدث لكن أيتها النسوة الطيبات ؟ ما
هذه الضجة ؟

الحارة الأولى : ألم تعرفي الخير ، أنت يا من كان يجب أن
تكوني أولى من تعرفه ؟

الزوجة : لا أعلم شيئاً ، أيتها النسوة الطيبات . أية نكبة
جئت تبلغنني بها ؟

الحارة الأولى : ألم تسمعي الأجراس تعلق يحنون ؟

الزوجة : سمعتها ، وكنت أسأل أمي ما معنى هذه

الدقات التي تمزق سكون الليل ، فأجابتنى
إنها لا تعرف ما الخطب .

العجوز : وكيف أعرف أكثر مما تعرف هذه النساء ؟
الزوجة : أماء ، ثمة شيء تخفيه على . تكلمن ، أيتها النسوة
الطيبات . ما الذي يجرى ؟ لقد جعلتن الفرع
يستبد بى .

الحارة الأولى : الجسر ، يا جارتى الطيبة ، الذى شيده زوجك
رئيس البنائين ، جسر آرتا انهدم ليلة أمس .
الزوجة : إنهدم ؟ مرة أخرى ؟ .

الحارة الثانية : للمرة الثالثة ، يا الهى . إنه لنحس كبير .
الحارة الأولى : وعرفت الحقيقة توا بعد أن آب العمال إلى
المدينة . الشعب قد أسقط فى يده . ما من أحد
يعرف ماذا يجب أن يتصور .

الزوجة : مرة أخرى ؟ أماء ، كيف يمكن ذلك ؟
الحارة الثانية : اسألى زوجك ، يا جارتى . لو كان ثمة من
يلوى فانه هو .

(يدخل رئيس البنائين)

الحارة الأولى : نحن منصرفات ، يا جارتى . لا حول ولا
قوة الا بالله .

الحارة الثانية : ياليسوع والعنراء . إنه لنذير شوم كبير .

(يجمعن صغارهن وينصرفن)

رئيس البنائين : يبدو الطريق طويلا عندما يعود المرء إلى جوار زوجته وولده بعد عناء يوم كامل في الريح الباردة وبين الحجارة الصلبة التي لا تطيع .

الزوجة : أحس أن جسمك ، يا بنائي ، ما زال متوترا من وعناء العمل . إجلس واسترح ، فمن حقك أنت أيضا أن تتخفف من مشاغلك لحظة .

رئيس البنائين : الجسد سيرتاح من تعبهِ سريعا . هذه الآلة ما زالت متينة ولا تخش الكفاح ، حمدا للرب .
الزوجة : روحك مضطربة ومثقلة بالمرارة ، هل حط من شأنك أحد ؟

رئيس البنائين : ما من أحد معين بالذات .
الزوجة : أرى ألما هائلا في نظرتك يتغشاني ، ويملاّ روحي بالآلم أنا أيضا .

العجوز : ليس لعجوز مثلي أن تقف بين زوجين شابين ساعة حديثهما عن الروح والجسد . الأفضل إذن أن أنسحب ، فلست قادرة على أن أسدى عونا ، مهما كان المصاب .

الزوجة : إنصرفي ، يا أماء ، ولا توثقي بالك بعذاب عابر . بيتنا يقوم على دعائم وطيدة ، والبناء

الذى نرتكن اليه قوى المنكين .

رئيس البنائين : نامى ، خالية البال ، يا أماء . اننى فى عملى
السيد الذى كنت دائما ، وسأفعل ما فى وسعى
ليتحقق دائما ما اعتقد أنه الصواب .

العجوز : وليتولى الله الباقي بحكمته وعدله .

(تنصرف العجوز . يشرع الليل فى إرخاء
سدوله . توقة الزوجة مصباحا)

رئيس البنائين : أنها تخشاني . أشعر فى صوتها أنها تتوجس منى
شرا . من يدرى ماذا دهاها ، العجوز
المسكينة . أنا أيضا لم أعد أميز الخير من
الشر .

الزوجة : العجائز يتزعجن بسهولة ، مثل الأطفال .
وعلينا الا نلقى بالا اليهن . إنس أحزانك ،
يا عزيزى . ألسنا إلى جوارك ، أنا وأبنك ،
مهما حدث ؟

رئيس البنائين : الحجارة ، لا تطيع يا امرأة .

الزوجة : وما شأن ذلك بالحب المزدهر بيني وبينها ؟

رئيس البنائين : الحجارة ثقيلة ، صعبة ، لكنها تفلت
من بين أصابعى مثل الرمال . جسر آرتا يأبى
الوقوف على قدميه . لا يريد أن ترسى دعائمه ،

ولا أن يرتكز على أرض وطيدة . إن الحجارة
بالنسبة إلى حياتي ، ولم أعد أعرف ماذا أفعل ،
وماذا أقول .

الزوجة : ونحن ، يابنائي ، ألا نغني بالنسبة إليك شيئا ،
نحن أسرتك الوفية ؟

رئيس البنائين : لا محل لهذا السؤال ، يا امرأة .

الزوجة : حديثك مثل حديث القديسين والأنبياء ،

مليء بالكلام الغريب والإشارات المبهمة .

لا شأن لي بمعرفة هذا ، أنا البسيطة الساذجة .

إنني لا أعني بشيء سوى زوجي وبيتي ووالدي .

رئيس البنائين : عندك كل هذا فتشبي به جيدا ، ولا تتدخل

في أشغال الرجال . لماذا تتساءلين عن أمور

لو عرفتها لركبك الخوف ؟

الزوجة : لا ينتابني الخوف إلى جوارك . ما الذي أخشاه

طالما كنت هنا إلى جانبي ، وكانت لي العذراء

هناك عاليا ؟ ألم أسمع الناقوس ، وأعرف الخبر

الذي انتشر ؟ ولكني لم أنزعج لأنني أعرف قوة

زوجي وقد رأيت يكافح السنين الطوال ويتنصر .

رئيس البنائين : ذهب عملي طوال الشهر الماضي بأكله سدى .

ومثل المرتين السابقتين اللتين أنهار فيهما الجسر ،

لم يقدر لأحد أن يتعرف على مصدر الشر الذى وقع . لقد أمضيت يومى بين الانقراض أرفع الأحجار باذلا جهدى لأعثر على العيب الخفى الذى يجلب الدمار . لا أفهم ما الخطب ، يا امرأة . لا أفهم .

الزوجة : أيها البناء ، لست أهلا لأن أحكم على عملك وأن أدلى فى شأنه بآراء ، ولكن يخيل لعقلي الضعيف أن التربة التى تقيم عليها بناءك تعوزها الصلابة الكافية .

رئيس البنائين : أعرف جيداً تربة اليونان . درستها شبرا شبرا ولم أبن إلى اليوم قط على أرض رخوة ، وهذه الأرض التى بنيت عليها الجسر أمتن أرض شققته بمعولى .

الزوجة : إذن ، ربما أنك ، يا بنائى لم تختار المواد المناسبة للبناء .

رئيس البنائين : أعرف موادى كما تعرفين أنت كل سر من أسرار البيت . إنى أختبرها بعينى وبيدى أفضل مما تجهزين أنت طعامك على النار . لم ينجح أحد فى أن يغشنى حتى اليوم .

الزوجة : لعمرى ما الذى أفهمه أنا فى هذه الأمور ؟ إنه

كلام أطلقه على عواهنه ، ولكن إذا كان الوضع
كما تقول ، فليس ما يمكنني أن أعتقده إلا أن
ثمة عدواً يطارذك ، أحد الأحكام ضايقته ، أو
زميلاً لك تسببت في بطالته أو أرقه ذبوع صيتك ،
ويغیظه أن يرى جسر آرتا على أهبة أن ينبسط
مثل علم خفاق فتلقى الثناء والتمجيد ، ومن ثم
يبعث تحت جناح الليل برجال مزودين بآلة
خفية يهدون بها عملك فيشقي قلبك ، ويسعد هو
بذلك .

رئيس البنائين : بنائي يحرسه بالليل رجال مسلحون هم اتباع
مخلصون ، ولم يتسلسل اليه من الخارج أحد .

الزوجة : إذن قل ، ما الذي تعتقده انت غير ذلك ؟ فاني
ألمس فكرة تحوم في عقلك ، ولولم تفصح عنها .

رئيس البنائين : عندما دعاني وجهاء القوم وطلبوا مني القيام بهذا
المشروع ، الكبير ووعدوني بكل ما طلبته ، وتركوا لي
أن أصمم كل شيء وفق ما تهواه روعي ويصبو
إليه عقلي ، كنت رجلاً سعيداً . أنت تعرفين
ذلك بالطبع أفضل مما يعرفه أي شخص آخر .

الزوجة : أجل ، يا رجلي الطيب ، أعرفه خير المعرفة .

رئيس البنائين : بعد سنين عديدة من التجوال والبحث وجدت

إلى جوارك راحة القلب والجسد، كما عرفت بين
عددي وحجارتى متعة العمل الطيب . كنت سيد
عملى . شيدت العمائر الصعبة ، وأرسيته على أسس
وطيدة . نفذت بالحجارة كل نزوة خطرت لى ،
ولم يعمل على أحد ، لكن جاءت الساعة التى
ارتبطت فيها بهذا العمل الكبير الذى لم يخل
إلى أنه سيكون أصعب من غيره . رغم أن جسدى
قد استشعر مشقته ، ربما لأنه جاء فى أعقاب
أعمالى الأخرى ، وكنت مثقلا بكل تلك الخبرة
والشهرة والمسئولية . عندئذ رهبت عملى وحياتى
لأول مرة .

الزوجة : لكنك لم تتوقف ، بل مضيت قدما بذات
اندفاعك السابق .

رئيس البنائين : أجل ، مضيت قدما وفى حلقى غصة ، والرغبة
تملأ روحي . كنت مثل متسلق الجبال الذى ألف
أن يتسلق راجلا أكثر القمم وعورة . لم ترعبه
المرتفعات أبدا ، ربما لأنه لم يفكر فى الأمر قط .
وفى ذات يوم رأى من تحته الناس مثل النمل
والقري مثل لعب الأطفال ، فانتابه الرعب ، وجف
الدم فى عروقه . مضيت قدما لأننى لم أكن

أقوى على غير ذلك ، لكنتك ترين أننى لم أصل
إلى شيء ، وانى أدور فى حلقة مفرغة معلقاً على
شفا الهاوية . غنمى الوحيد اننى بدأت الآن
أخمن ما الذى كانت تعنيه رهبتى تلك . كانت
إشارة من قدرى تقول لى ، على ما يبدو ، أنه
فى النهاية قد جاءت اللحظة التى أشعر فيها أنا
أيضاً بذيل يتلوى بين قدمى مثل حية من حيات
الماء ، ومن الأفضل ألا أنبس باسم صاحب ذلك
الذيل هنا فى هذه الحجرة حيث يتام ابننا .

الزوجة : (ترسم علامة الصليب على الصغير) .

غفرانك ، يا يسوع .

رئيس البنائين : يا امرأة ، جسر آرتا ركبت الشياطين وأخشى
أن تتسلل إلى حياتى كلها .

الزوجة : أيها البناء ، ما شأننا والشياطين ، ولم يذكرنا ؟
تري هل لعننا أحد ، أم أننا اتحنا لها فرصة ؟

رئيس البنائين : لا أعرف منذ الذى لعنى ، لكن ما أكثر الفرص
التي أتحنتها لها منذ أن أدركت الدنيا ، وأنا فى صراع
مع الحجارة والناس لأخلق العمل الذى يقدر له
الخلود على مر الزمن ، وهذه ، كما ترين ، قصة
يروق للشياطين أن تتلهى بها ، وتجذبها كما يجذب

اللبن المكشوف بالليل الحيات فى الحقول . إن
الشياطين تبغى منى شيئا .

(يفتح الشباك بعنف ويطل منه صائحا فى الظلام)
يا شيطان الليل ، تكلم ، إذن . تكلم ، ماذا تطلب ؟
انى مستعد للحديث . أريد أن أفرغ من الحساب .
كفاك هزلا . إيه ، يا حضرة الشيطان ، ألا تسمع ؟
(تتابع الزوجة المشهد فزعة . ثم يفد من بعيد
كاجابة على النداء غناء تردده أصوات رجال)

أصوات : تبالكدنا ، والحسران على عملنا . الأيام الطوال
نبنى ، وبالليل يهدم ما بنيناه .

رئيس البنائين : إنهم رفاقى ، يهيمون فى الظلام من درب إلى
درب ، مثل اللعنة الظالمة ، متعانقين ، وقد خيمت
عليهم التعاسة . جسر آرتا سحرهم هم أيضا .
ستصاب نساء كثيرات الليلة بالأرق ، ويذرفن
الدمع وحيدات فى أسرتهن ، دون أن يعرفن لم
كف أزواجهن عن حبهن .
(يعاود الصياح فى الفضاء) .

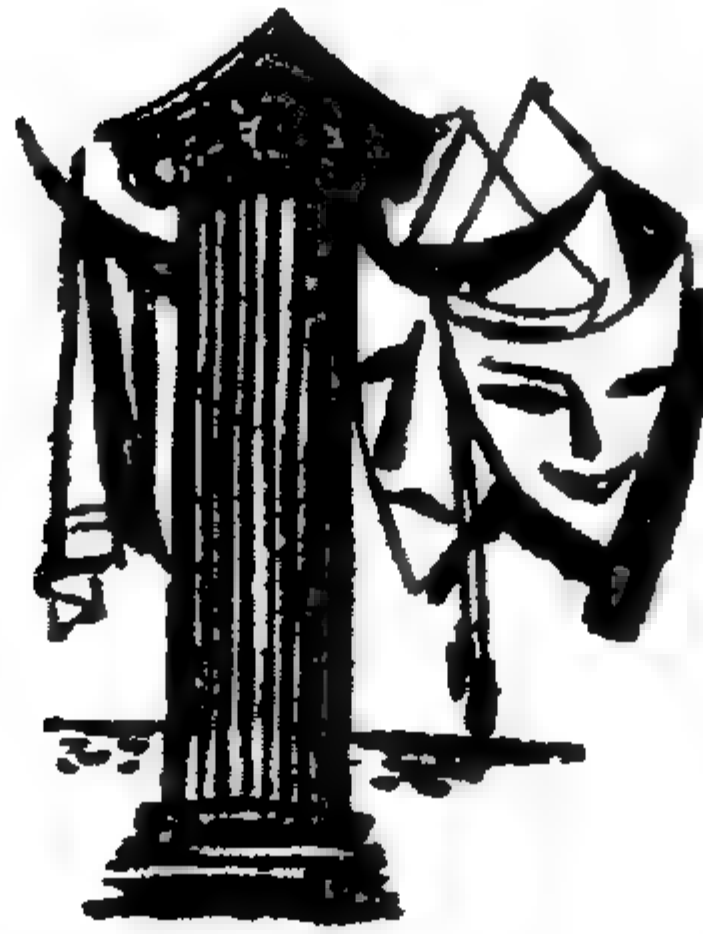
يا شيطان الظلام ، أيها الهازل اللعوب ، أى
شيطان كنت ، غولا ، أوجنا ، عنقاء ، أوذئبا

خاطفا، يا رسول الهلاك، إني أناديك أن تظهر
وتتفاهم .

أصوات : (من مكان أبعد) تبا لكدنا، والخسران على
عملنا. الأيام بطولها نبني ، وبالليل يهدم ما بنيناه.

الزوجة : أيها البناء ، أغلق النافذة ، ودع الشياطين في
في الخارج . كل هذا ليس من صالح ولدنا .
(يغلق رئيس البنائين النافذة ، وتجلس الزوجة
إلى جوار الصغير مترقبة ، في الوضع الذي كانت
تجلس عليه في أول المشهد ، وتعاود الهددة
بصوت خفيض) .

نم ، يامن بعثت اطلب لك من المدينة ذهباً ،
ومن فينسيا ثيابك وحليك



المشهد الثاني

(الليلة ذاتها، في منشآت الجسر، وقد أضفى عليها القمر ضياءه . أعمدة منهارة . مواد بناء مكسرة . مصباح موقد معلق . حارسان ينظفان نندقيتهما . هناك شخص ثالث على المسرح هو عازف العود، عجوز ضريير، لا يبدو أنه يعرف الآخرين. يضبط بين الحين والحين عوده، ويعزف عليه، شاديا بأبياته كما لو كان يستلهمها في تلك اللحظة . تصفر الريح .)

عازف العود : خمسة وأربعون بناء، ومن الصبيان ستون .
نضوا يبنون على نهر آرتا جسراً .
طيلة الأيام يبنون، ثم يمسي بالليل منهارا .

(يعلو صفير، الريح بشدة، ويهتر من فرط الريح ناقوس بعيد فتعالى دقاته منغلته بلا ضابط) .

الحارس الأول : الجحوا انتابه سعار .

الحارس الثاني : صفرى ، لعنة الله عليك .
الحارس الأول : العفريت يعبث بالأجراس أيضاً .
الحارس الثاني : لا يكتفى أن الجنون ركب الجسور ، بل جنت
النواقيس هى الأخرى .

عازف العود : البناؤون عند جسر آرتا كانوا ينشدون
أغنية عالية حافلة بالشكوى ،
ومن فرط النغم الحزين والأغنية الكليمة .
إنشرح الجسر ، وكف النهر عن الجريان .
أيها الرفاق ، دعكم من النواح ، وأنشدوا
أغنية أخرى ، لعل الجسر يلتئم صدعه ، ويعود
النهر إلى الجريان .

الحارس الثاني : (منشداً) كيف نعدل عن النواح ونكف عن
الغناء ، وفى قلوبنا ألم ليس لنا منه شفاء ؟
الحارس الأول : أنغنى ؟ هذا هو الذى ينقصنا . ألا يكتفى كل
ما نحن فيه ؟

الحارس الثاني : الأفضل أن نغنى بدلاً من أن نبكى ، طالما ليس
بإستطاعتك أن تفعل شيئاً آخر (تصفر الريح
من جديد) .

صفرى ، سود الله منيك . لعمرى ، تخالها
الشیطان ذاته .

الحارس الأول : أتؤمن بالشيطان ، أنت ؟

الحارس الثاني : لأعرف بما أومن ، وحق العظام المقدسة .
إنى لا أفهم الكثير من كل هذه الأحداث التى
تحدث لنا ، والتى لم يسمع أحد بمثلها من قبل .
إلا أن ثمة ذبلاً شريراً بدأ يتلوى ويتحرك ليلة
أمس بين أحجار جسر آرتا ، ومن المؤكد أنه
ليس ذيلك ولا ذيلى .

الحارس الأول : يلوح لى انك غير واثق من نفسك الليلة يا رجل ،
من يرى بالليل ذبولا تمشى لا يصلح لحمل
السلاح .

الحارس الثاني : ان ما يحدث هنا لا يحارب بأسلحة وعتاد .

الحارس الأول : إذن استعمل الأحجية والتعاويذ ، ولكن أغفر لى
إذ لا أستسيغها . هذه البندقية القاتلة التى أربت
عليها تبدو لى أكثر ملاءمة للموقف ، فهى
ستردية قتيلاً ، ذلك الحبيث الذى يعاكسنا ،
أيا كان . ولعمري أين سيهرب منى ؟
(صفير الريح) .

الحارس الثاني : صفر ، يا شيخ الهازلين . (لزميله) فلتضرب
إذن ، لرى ما الذى تقوى عليه بسلاحك .

الحارس الأول : يبدو لي أنك على وشك أن تؤمن بأن صغير الريح هو صوت الجحيم . بل انى أرى يدك ترتعش في ضوء المصباح . لعمرى ، هل فقدت عقلك؟ حتى أمس ، كنت متمالكا نفسك على خير وجه . لقد رأيت الجسر ينهار في الليل مرتين من قبل ، دون أن تفقد صوابك ، فهل انهرت أنت أيضاً بعد المرة الثالثة ؟

الحارس الثانى : ربما . ولكن ترى من هو أكثرنا انهياراً بسبب هذا البنيان ؟

الحارس الأول : فليكن من يكون ، ولتزل به الكوارث ، ولكنى على أى حال أتساءل إذا كان لمثل هذا الحيوان وجود . ذلك الملعون الذى يبعث فيك الرعب ، ما الدافع له على أن ينشغل بأفعالنا وصغائرنا مضيعا وقته معنا ، وهو ذلك المارد المسيطر على مملكته ؟ هلا قلت لي ، ما هو السبب الذى أتى به إلينا ؟

الحارس الثانى : ما الذى يدرينا؟ ربما يرد أن يتركنا لنعثر على السبب وحدنا .

الحارس الأول : ما الذى يدور في عقلك من جديد ؟ يبدو أن ثمة ما تفكر فيه ،

الحارس الثانى : عقلى تغشته غشاوة. يحيل إلى أن كل شيء أضحى
حلماً ووهماً .

الحارس الأول : لقد مسك القمر وأصبت بلوثة . جازاك الله .
لعمري أن الأمر غامض مبهم ، ولكنى أفصل
ليلة من ليالى الصيف سوداء مثل القار ، تفرش
فيها الأرض وتسند وجهك إلى التراب ، ولكنك
تحس على أى حال بالهواء من حولك ، وقد تحرر
من الأحلام والخيالات .

الحارس الثانى : من الذى رسم تصميمات الجسر ؟ من الذى يقوم
على تنفيذها ؟

الحارس الأول : من غير رئيس البنائين .

الحارس الثانى : لابد أن فى الرجل عيباً من العيوب .

الحارس الأول : هذا كذب ، وقلة أدب .

الحارس الثانى : ربما تطارده لعنة ما ، خطيئة ارتكبها أباه ،
أو—لست أدري—ربما هناك أمر متعلق بأهل بيته .

الحارس الأول : أيها الرجل ، ما هذا الذى يدفعك القمر إلى
التفوه به ؟

الحارس الثانى : حبه لتلك المرأة زاد عن حده .

الحارس الأول : هذه غيرة منك ، وشهوة جائرة . أليس من

حقه أن يهوى المرأة التي اتخذها لنفسه زوجة
شرعية ما شاء له الهوى ؟

الحارس الثاني : هذا حق . من قال العكس ؟ ولكن كل هذه
العاطفة وهذا العشق ، كل هذه السعادة تضحى
إنما وخطيئة . الناس يقضون على بعضهم بعضاً
من فرط الحقد ويشوون بعضهم بعضاً بالنار
من فرط الكراهية . الناس ينغمسون في الرزايا
والدموع ، بينما هما ينعمان بكل ذلك العشق ،
وبكل تلك السعادة .

الحارس الأول : إصمت . إنك تفرط في الكلام .

الحارس الثاني : لأنكر أن هذا حقه ، ولكن الأمر ينقلب ظلماً
أيضاً ، وما كان ظلماً لا يباركه الله .

الحارس الأول : إصمت . إنى أرى شيئاً (يرفع المصباح) ثمة
شبح .

الحارس الثاني : انهما شبحان .

الحارس الأول : من هناك ؟

رئيس البنائين : أنا .

الحارس الثاني : إنى أسمع صوته .

الحارس الأول : لو كنت رئيس البنائين تقدم . لو كنت غريباً

إمض لحال سبيلك ، لأن لدينا أمراً بأن نطلق النار . لو كنت شيطاناً ..

(تسمع ضحكات . يدخل رئيس البنائين ، ومساعدته الذى يضحك . يحمل المساعد عصا)

المساعد : أعتقد الصديقان أننا من الشياطين .

رئيس البنائين : لا رغبة لدى فى الضحك ، أيها الصديق ، (إلى الحارسين) هل حدث شىء ؟

الحارس الأول : كلا . أيها الرئيس .

رئيس البنائين : ألم يدلف إلى هنا أحد ؟

الحارس الأول : لم يزرنا أحد سوى القمر ، وأشعة المتسللة .

المساعد : وضوء القمر يجعلنا نرى خيالات . أليس كذلك ، أيها الصديقان الطيبان ؟

الحارس الأول : لا أذكر أننا رأينا خيالات أيها الرفيق ، بل نرى نحساً مهولاً فحسب قد حل بهذا البناء ، ولكنه لا يصرفنا عن عملنا قط . بل نمضى فيه لاندلوى على شىء .

المساعد : انك تتحدث بثقة ، ولكن ما أن تلبس عليك الأمور حتى ينصرف حديثك إلى الجن . ولأننا لا نريد أن نسلم بأننا لا تؤدى عملنا على ما يجب ،

نبحث نحن الأردباء الأشرار ، عن أسباب
غير طبيعية تفسر بها ما وصلت اليه أعمالنا ،
ونخلط كلامنا بالحديث عن الشياطين . وهكذا
تناثرت الحكايات عنا في أرجاء البلاد ، حتى
كدنا نصبح أضحوكة الجادين من الناس .

الحارس الأول : لا يستطيع عقلي أن يتبين ماهو هذا الشيطان الذى
أسمع الناس يتحدثون عنه ، ولا حتى أكثر
بالجادين من القوم فى البلاد ، ولكن مادمت
تسألنى رأى فيما يحدث هنا فسأقول لك هذا :
لو كان الجميع قد أدوا واجبهم على النحو الذى
يؤديه من يقوم بالحراسة لكان المشروع قد شق
طريقه إلى الكمال منذ أمد بعيد .

المساعد : الحمد لله . هاهو قول تلوح منه الصحة ، إلا أن
كل واحد يسعى إلى إلقاء اللوم على الآخر ، كما
يتعارك الليل والنهار . على انى أود أن أوجه
اللوم إلى الجماعة كلها دون أن استثنى نفسى .
أقسم لكم ، وأقول اننا كلنا معا لسنا أهلاً لأن
نشرف رئيسنا .

رئيس البنائين : كفى شجاراً . قلم مافيه الكفاية ، ولا أرى جدوى
من مثل هذه المناظرات . أنا واثق من العمل

الذى قمنا به هنا ، ومن رسومي وموادى .
إنى لا ألقى لوما على أحد، ولا أسمع بالمناقشة
وإلقاء التبعات .

المساعد : ولكن ثمة مشئولا ، لعن الله أصلنا ، فالحجارة
لاتنهار متى كان كل شئ على ما يجب .
رئيس البنائين : ثمة شئ غير صحيح ، ولكنى لم أجده حيث
نبحث .

المساعد : بربك يا بنائى أين تريدنى أن أذهب باحثاً ؟
رئيس البنائين : لو كنت أعرف لما رأيتنى أهيم فى الليل متعباً
الظلال فى ضوء القمر .

الحارس الثانى : فى قلوبنا فحسب لانجسر على البحث .
رئيس البنائين : انت تحدثت عن القلوب .
الحارس الثانى : تحدثت ، وبحق . الشقاء للقلوب كل الشقاء .
المساعد : يبدو الصديق كما لو كان عاشقاً . هذا وقته هو
الآخر . ما من شئ ينقصنا سوى العشق .

الحارس الثانى : الحب - طليق لا أمان له .
رئيس البنائين : الأفضل أن يبقى الحب خارج هذه الحكاية .
عازف العود : لا يجب فى هذه الجيرة أن يطلع قمر .
لابد أن تخيم الغيوم فقط، وأن يسود الظلام القاتم،
لأن لى حبيبة هى وحدها القمر .

كلما سعت لرواياها تبعثرت الظلمات.
وهى تتشاجر مع الشمس وتقول لها :
« يا شمسى العزيزة ، هلا طلعت لأطلع ، هلا
توهجت لأامع » .
وعندما سطعت الشمس فى الصباح جفت الزروع ،
وطلعت البنت التى أحبها ، فذوت قلوب الفتيان
فى الضلوع .

(بينما ينشد عازف العود ، يظهر بين الأعمدة
شبح يتمهل ، ويقف على مبعدة) .

الحارس الأول : ثمه شىء ... هناك .

الحارس الثانى : باسم الله .

المساعد : ما هذا العبث ؟ من ذلك الضال الذى يختفى وراء
القناع ؟

(يتقدم نحو الشبح مهدداً شاهراً عصاه على أنه
فى منتصف الطريق يتوقف ويصرخ تاركاً عصاه
تسقط ويمسك ذراعه الأيمن بيده اليسرى ،
ويثن ويجرى رئيس البنائين إلى جواره .

رئيس البنائين : ماذا أصابك ؟

المساعد : ذراعى . أحس ذراعى قد انكسر .

(يركع ضاغطاً ذراعه ، بينما يمسك به رئيس
البنائين من كتفه)

رئيس البنائين : يا شبح الليل ، ماذا تريدنا؟ (برهة صمت) مهما
كنت ، انسانا مظلما ، أو شبح ميت ، أو شيطان .
ما طلبك ؟ (برهة صمت) يا شبح الليل ، لو كنت
بشراً إظهر ، وإذا لم تكن فما الذى تبحث عنه
بين البشر ؟

الشبح : (بصوت آت من بعيد)
لقد ناديتنى .

الحارس الأول : هل سمعتم ؟ لقد تكلم الشبح .

الحارس الثانى : رحماك ربى .

رئيس البنائين : أيها الشبح ، أنا لا أفهم هذه الأمور . إنى بناء ،
أقطع الحجارة . إنى انسان عادى عملى أن أقيم
بشرف أبنية من الحجارة وفى النور . لا أن
أكلم أصواتا غير بشرية بالليل . قل ، ماذا
تطلب ؟

الشبح : أطلب ثمن العمل الذى تريد أن تخلفه فى هذه
الأرض ، أيها البناء . لقد جاء وقت السداد
بالنسبة لك أيضاً . هل أنت على استعداد ؟

رئيس البنائين : لو كنت أفهم شيئاً من كلامك فهو أنك تطالبنى

بلدية ، بدين على لم أكن أعرفه ، أو كنت قد
نسيته ، وذلك لتدعى أرسى جسر آرتا الذى
هو عملى . سأدفع أيها الشبح . لا أخشى الحساب .
: إذا لم تدفن إنسانا لن ترسى جسراً على شاطئ
النهر .

الشبح

رئيس البنائين : تطالبني بجرمة قتل ، أيها الشبح . لقد عرفت
أنك مبعوث الجحيم ، ولكنى سأقف وأتباحث
معك ، لأن المشروع ليس ملكى أنا ، بل ملك
المدينة والشعب والرفاق الذين يجاهدون معي .
وقد يوجد في النهاية بائس من حياته ، يتيم لا بيت
له ، أو مهدود من الأمراض والشيخوخة يرضى
أن يهب نفسه فدية بوازع من الإيمان وحب
الوطن أو بدافع من الضيق والتعب ، دون أن
تكون ثمة حاجة إلى أن أصبح قاتلاً . تكلم ،
ماذا لديك تقوله غير ذلك ؟

الشبح

: انت الذى ستدفع ، ولا يصلح أن يدفع غيرك .
ستدفن هنا مخلوقة رقيقة خدومة تجدها إلى جوار
أرجوحة طفلك ، وبالليل إلى جوارك ، وهى على
استعداد كما تعرف . أن تفنى من أجلك الف مرة .
أنها لم تتصور الأمر قط ، ولكنه لو كان قد دار

بخلدها ، لقات بلسانها : يا لها من سعادة .

رئيس البنائين : أتعني زوجتي ، أيها الشبح ؟ تطلب مني أن أدفن زوجتي بين الحجارة ؟ ! .

الشبح : انت الذي خرجت باحثاً وصائحاً في الليل .
كف عن جسر آرتا إذن . لك مطلق الخيار .

رئيس البنائين : كلامك قاطع كحد النصل . أنت تعرف أنني
لا أستطيع أن أفرض في زوجتي رغم أنني مرتبط
بهذه الحجارة بجسدي ذاته كما ارتبط بجسدي
زوجتي . انك بكلامك تمزق جسدي إرباً إرباً .
إطلب مني أي شيء آخر . إطلب مني حياتي أو
صحتي . هل تريد عيني ، أيها الشبح ؟ ها أنا
أعطيك عيني . يكفي أن أرى مرة واحدة جسر
آرتا وقد انتصب واقفاً في الضياء .

الشبح : أنت حر .
(برهة صمت . يتلاشى الشبح في ظلمة الليل)

الحارس الأول : عونك ، يارب .

الحارس الثاني : يا مخلص ! يا يسوع !

المساعد : (يثن) ذراعي . ذراعي .

رئيس البنائين : (يعاونه على النهوض) إنهض . أيها الرفاق ،
هل سمعتم ؟

الحارسان : سمعنا .

رئيس البنائين : أكان الأمر حقيقة ؟ هل رأيتموه بعيونكم ؟
ألم أكن أحلم ؟

الحارس الأول : كان الأمر حقيقة ، علينا اللعنة .

الحارس الثانى : كان حقيقة ، ولنصب بالعمى لو كنا كاذبين .

رئيس البنائين : (إلى المساعد) أسمعت انت ؟

المساعد : سمعت .

رئيس البنائين : هل رأيت هذا الشيء الذى تكلم .

المساعد : رأيت . ولتترل على صاعقة لو كنت كاذبا .

أوه ، ذراعى . لا أدرى . لا أدرى .

رئيس البنائين : يارفاقى ، إصغوا إلى . أتوسل اليكم . ترون

انى قد خسرت الجلد والعظام ، ولم أعد أدرى

شيئاً . أوه ، لو أمكننى أن أنسى كل هذا .

ثمة من يهزأ بنا . ثمة من يلعب بنا . أصبحنا

أضحوكة الشياطين والأشباح . أمسينا العوبة

الليالى . تتقاذفنا الأشباح عابثة . أريد أن توالونى

حبكم حتى لا أترك وحيداً مهجوراً فى هذا الحال

الذى صرت عليه . الوجود أضحى خطاماً .

إنه لحادث مضحك ، ولكن ما الذى يعنينا ؟

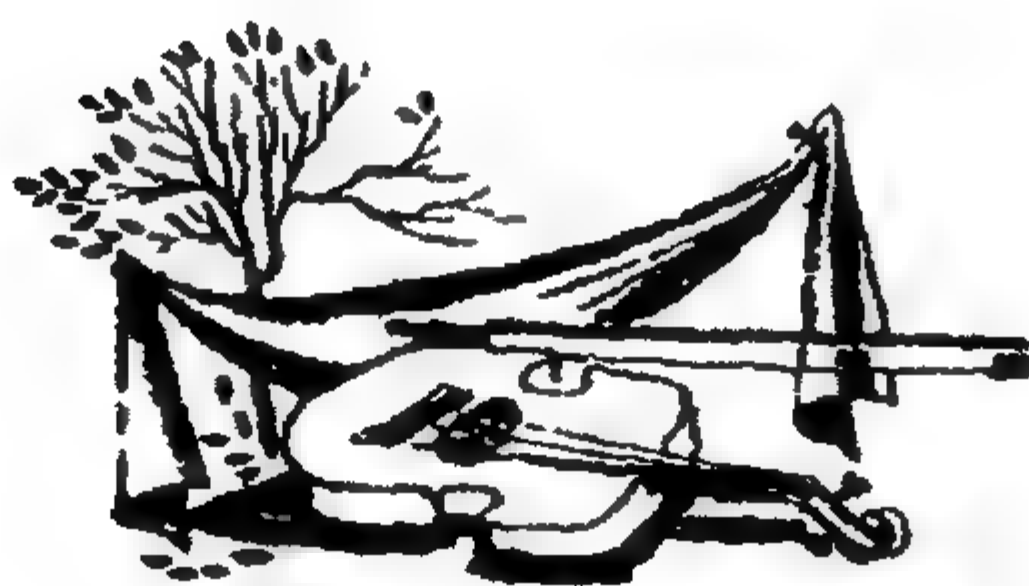
ألسنا رجالاً أحراراً أقوياء ؟ ألسنا شجعاناً غير

هيا بين تجرى الفتوة فى دماننا ؟ إبسطوا الشراع .
لتحيا الحرية . الوجود يتلاشى ، أيها الرفاق ،
فليضح حطاما . تحية أيها الشبح !

(ينصرف يتبعه الحارسان ممسكين بالمساعد)
عازف العود : أيها الطاووس ذو الجناحين الذهبين والسافين
الفضيتين ،

يا من خضبت محالبك بالذهب ، وعلى رأسك
ارتديت تاجا ،

وفى قلبك كأس من اللؤلؤ ،
أيها الطاووس ذو الجناحين الذهبين ،
أيها الطاووس ذو الجناحين الذهبين ...



المشهد الثالث

(الليلة ذاتها في بيت رئيس البنائين . الزوجة

نائمة . قنديل موقد . يدخل رئيس البنائين)

رئيس البنائين : سحقا للجسر . سحقا للمدينة . في البيت موت ،

وفي الفراش . نسيتني أيها الموت ، لكنني دعوتك .

كنت قد كرهتك وازدريتك ، وكنت أمشي

بخطوات ملؤها الكبرياء على التربة الدافئة .

عشقت شمس الجنوب والضياء الساطع ، وارسيت

وشيدت بقدرما استطاع قلبي وجسمي . ملأت اليونان

كنائس وأديرة ، وملأت الضياء أبراجا ، وصعدت

عاليا إلى أبراسها بين الرياح الهوجاء ، وأفرغت

في زينتها سعادتي الهائلة ، وفرحتي العظيمة بالعمل

والحياة . سعت أن أقف منك موقف الند وأن

أصارحك بأعمالي المصبوبة في الحجارة ، وأن أرفع

قامتي إلى ما هو أعلى من حدود الحياة . وددت

أن أكون مثل حجارتي لا يتطرق إلى ذبول ،

ولا تطولني شيخوخة، وأن أعلو على الفناء ؛
ولكن ها أنت أيها الموت قد أتيت وغمرتنى .
إنى أحس بك الآن تملأ كل شيء حتى الحجارة
فالحجارة محطمة ، ميتة . الحجارة حادة مثل
الحراب ، تدمى عقلى، وتمزق جسدى، جسدى
المشدود إلى ذلك الجسد الأنثوى بوشائج الحب
والألم .

(يهوى فى أحد المقاعد ، وقد دفن رأسه
بين يديه . يظهر بجوار الزوجة فى الظلال عابر
سبيل طويل القامة وسيم بسيط الثياب) .

عابر السبيل : أين تذهبين يا أمة الله فى الخلاء وقت الظهيرة ؟
الزوجة : (تتكلم وهى فى حلم) إستدعانى زوجى .
عابر السبيل : من هو زوجك ؟
الزوجة : رئيس البنائين . إنه يبنى جسر آرتا .
عابر السبيل : وفيما يريدك زوجك رئيس البنائين حتى يستدعيك
فى جسر آرتا وقت العمل ؟
الزوجة : لأدرى ولأسأل . لقد أرسل يدعونى ، وأنا
ذاهبة إليه .

عابر السبيل : ولكن أنا أسأل ، يا امرأة .

الزوجة : ومن أنت حتى تستوقفنى هكذا فى الطريق
وتتحدث إلى ؟

عابر السبيل : فكرى ، فقد تتذكرى شيئاً .
الزوجة : انت محق ، فإنى أميزنى ذاكرتى طلعتك بالحميلة فيما

يشبه سحابة ذهبية وضيئة ندية مفعمة بأريج
الربيع ، وقد غمرك الجلال ، ولمع جبينك كما
لو كنت تلبس تاجاً، وكانت إلى جوارك صبية
ودیعة بريئة .

عابر السبيل : مثلك يا امرأة ، الليلة .
الزوجة : كنت تنحنى عليها وتهمس اليها بأمر . كنت

تزف اليها خبراً فارتبكت المسكينة وخرت على
ركبتيها تشكرك . أى خبر تأتى به إلى اليوم فى
هذا الطريق بين الزهور والرياحين حيث وقفت
فى انتظارى ؟

عابر السبيل : يا امرأة ، فيما يريدك زوجك ؟
الزوجة : لم يشرح لى الأمر ، ولكن ما كان بى حاجة إلى

أن يدلى بأى إيضاح . لقد نادانى إلى جواره ،
وهذا حقه فى أية ساعة من ساعات النهار أو الليل .

عابر السبيل : يا امرأة ، فيما يمكن أن يريدك زوجك ، هناك
فى أبنية جسره ؟ أى عمل لك بين البنائين ومصارعى

الحجارة وموقدى القمائن فى الوقت الذى يشقون
فيه الحجارة، ويصنعون الخير؟ أية مساعدة انت
أهل أن تسديها لأرباب الحجارة؟.

الزوجة

: طالما أنه ينادىنى فهذا يعنى أن ثمة حاجة به إلى.

ليس العون الوحيد الذى يمكن للمرء أن يسديه
متعلقاً بالحجارة والقمائن . ربما كان ما تحتاج
إليه سعادته فى هذه الساعة هو أن يرانى فحسب.

عابر السبيل

: أيتها المخلوقة البريئة ، طوال هذا الوقت أجاهد

لكى أجعلك تشكين فى أن ما يدور بخلد زوجك
اليوم ليس هو ماتسمينه سعادة . إن زوجك
لم يعد يتحكم فى حياته .

الزوجة

: إنى أتبع زوجى ، حيثما أخذنى أروح ، وحيثما

أعطى حياته أعطيت حياتى. أى شىء آخر يعينى
أن أعرف ؟

عابر السبيل

: هذا الذى تحركت للذهاب اليه ربما طالبك بأكثر

مما فكرت أن من المناسب أن يطلبه منك، يا امرأة.
إن جسر آرتا لم يباركه الله بعد، وليست القوانين
الإلهية فيه بسارية .

الزوجة

: أيا كان ما يطلب منى أنا واهبة إياه منذ البداية .

طالما قد أعطيت روحى كلها إلى رجلى ، فحياتى

تحت أمره، وليفعل بها ما يشاء . أيها الغريب،
دعني أمر ، إن زوجي يدعوني اليه .

عابر السبيل : أنا لا أمنعك . اذهبي يا امرأة ، وقد كنت
أعرف انك ستذهبين ، ولكن يجب أن تنبهي
حتى لا تمضي خالية البال مطموسة العينين مثل
حمل غرير ، فإن العدالة تقتضي ذلك .
(يختفي عابر السبيل . تستيقظ الزوجة فتلمح
رئيس البنائين) .

الزوجة : أنت هنا ؟ .

رئيس البنائين : عدت توا .

الزوجة : أين ذهبت ؟ .

رئيس البنائين : خرجت أستنشق الهواء .

الزوجة : رأيت حلما .

رئيس البنائين : ليس هناك إلا الأحلام .

الزوجة : رأيت انك استدعيتني في مبنى الجسر في حر

الظهيرة ، وتحركت للقائك وفي الطريق استوقفني
غريب وقال لي عدة أشياء غريبة .

رئيس البنائين : أما عن الأشياء الغريبة فلا تسألي .

الزوجة : حدثني عن الجسر ، عن القوانين الإلهية، وعن

العدالة . ترى ماذا كان مطلبه؟ هذا الجسر يطار دنا

ليل نهار . تعال ارقد وانس .

رئيس البنائين : لأستطيع .

الزوجة : لاتترك نفسك تنهار .

رئيس البنائين : انى لاأترك نفسى . أنا متشبث بها بأسنانى . الطامة لوتركتها .

الزوجة : إنك تتكلم كما لوكنت تتوقع الشر من نفسك ذاتها .

رئيس البنائين : أصبحت أتوقع الشر من نفسى .

الزوجة : مما تتوجس ؟ .

رئيس البنائين : قلت لك لا تسألى .

الزوجة : حسنا ، لن أعاود السؤال .

رئيس البنائين : نامى .

الزوجة : وانت ماذا ستفعل ؟ ستخرج من جديد إلى الطرقات فى الليل الموحش ؟ .

رئيس البنائين : سأبقى إلى جوارك ، أهدهلك .

الزوجة : أنا لست للهدمة فحسب ، بل أنا المرأة التى تحقق لك روحا وجسدا .

رئيس البنائين : نامى . إنى أعرفك ، وأعرف امرأة من أنت .

الزوجة : تعرف ، ولكنك تنسى .

رئيس البنائين : ياليتنى أفلح فى نسيانك الليلة . أواه لو نسيت

تماما إنك قد ولدت .

الزوجة : يا رئيس البنائين ، هل كرهتني ، اذن ؟ .
رئيس البنائين : كرهت نفسي ، إلى حد لا يمكن لعقلك أن يتصوره .

الزوجة : حديثك على هذا النحو الغريب الليلة يملأني خوفا .

رئيس البنائين : نامى .

الزوجة : لا رغبة بي للنوم وقد أحزنتني .

رئيس البنائين : نامى ، واجتهدي أن تري أحلاما أخرى ، أحلاما جميلة . لا تضيعى الفرصة منذ الذى يمكنه ان يعرف كم ليلة بقيت له على وجه التأكيد لكى يحلم ناعم البال ويستمتع بحلاوة النوم ؟ .

الزوجة : يا رئيس البنائين ، انك تبعث فى قلبي الوحشة .

رئيس البنائين : كلا ، يا ربتي ، لا تنزعجى بلا جدوى . كلا ، وإني لأتوسل اليك ، هذه المشكلة التى ورطت فيها بخيل انى لم اوفق فى حلها بعد . انها تبدو معقدة وصعبة الحل بالنسبة لعقل مثل عقل المسكين ، وليقل القائلون ، ولينشد المنشدون بالليل فى العماثر المسكونة أن الأمر كله مرهون بحريتي أنا .

أُسمعِين يا حبيبتى ؟ يالها من مسألة خسيصة
تستثير الضحك والبكاء ؛ مسألة حرية اختيارى .
: أيها البناء ، لأتبين ماهذه الحرية ، ولا أفهم عن أية
عقدة تمضى محدثا إياى فى الليل ، ولكن من
أجلك تتنابنى الهواجس . كلماتك ملتوية
ونظرتك سقيمة محمومة . لم أرك قط بهذه
الهيئة ، أما أنا فماذا أخشى ؟ حياتى كلها قد
وهبتها لك . أنت تمسك بها فى قبضتك . إفعل
بها ما تريد . إذا كانت تستأهل شيئا شد قبضتك
وأمسك بها ، والا ألق بها إلى الرياح تذروها . أنا
ليس لى أن أفكر .

الزوجة

رئيس البنائين : ولكن أنا أفكر ، أيتها المخلوقة المسكينة . إنك
لا تشعرين أى ثراء عريض جلبت على حياتى ،
وأية مكانة عظيمة احتلتها فيها ، أنت الهادئة
الضعيفة الخاضعة ، أنت بهيتك الصابرة
المتوسلة ، أنت يا من يعتقد المرء أنك مدينة
بكل شىء ولا شىء ملك لك ؟ ولكن ماذا
كانت حياتى ستكون بدونك ، أيتها الزوجة
التي تبخس حق نفسها ؟ كانت ستكون شيئا
مهلهلا وجثة عارية ملقاة إلى الكلاب .

الزوجة : أيها البناء ، أتحنيني إلى هذا الحد ؟

رئيس البنائين : أجل ، يا حبي المناجيج . أحبك .

(يركع ويقبل يدها)

الزوجة : (تربت على شعره) أنت الآن الصبي الصغير

الذى يبغض قدر نفسه . إنهض . أسمعنى ؟

يتملكنى الخوف إذ أبوء عند قدمى الرجل الذى

طبقت شهرته الآفاق ، القوى الذى أقام فى

الأرض قصورا شائعة ومعابد مرموقة فما أنا إلا

امرأة عاجزة . لا أريد أن أراك على الأرض

هكذا . أريد ان تكون لى عاليا . أن تحبنى سيدا

وأن تتحكم فى . أيها البناء قم ، عد كما كنت .

رئيس البنائين : (ينهض) يا امرأة لا تاقى بالآلى . إن الحجارة

تتحكم فى حياتى . ولم أعد أسيطر عليها . إنها

أضحت تثقل فكرى وجسمى ليل نهار ، وتجم

على حبى لك ، ولطفتى على ولدى ، وعلى صلاتى

فى الصباح . أنا مركب بلا ملاح ، روح

مزعزعة ، رجل ركب الغرور وفقد الصواب .

هل تحسین ما بى ، أيتها المسكينة ؟

الزوجة : أجل يا بنائى ، أحس أنك تألم .

رئيس البنائين . حتى اليوم كنت أصارع الحجارة وأنا أغنى

وأضحك بحماسة ، ومن كل قلبي تارة ، وتارة
أخرى - أصدقك القول - ضاغطا على نفسي
بعض الشيء لأحملها على الغناء والضحك ،
وذلك لمجرد الظهور بمظهر الثبات والرجولة .
كنت شابا ، والحياة سهلة وكان الله كريما
سمحاً مبسوط اليد يتلقانى فى جنته بفرحة
وترحاب . أجل ، كنت أضغط على نفسي
قليلا فى بعض الأحيان ، وأخفى تناوفا وعدم
ارتياحى . ولكن ما كان يبدو لى الأمر بالغ
السوء على أى حال . أما الآن ، يا امرأة ؟
الآن ؟

الزوجة : الآن ، ستزول الغمة ، انها مجرد سحابة عابرة .
يلزمك فقط بعض الراحة ولا شيء غير ذلك .
لقد أرهقت نفسك فى الآونة الأخيرة .

رئيس البنائين : واحسرتاه ! لا يبدو أن التعب هو وحده الذى
أتى بى الليلة فى هذا الاضطراب ، ولا القمر
هو وحده الذى مسنى بهذه اللوثة . ثمة أمر آخر
يجرى ، والأفضل أن ندعه جانبا : حريقى
أضحت موضع حديثهم ، والكثير يقال عنها
فى المواطن الشيطانية التى يغمرها ضياء القمر .

فجأة تضخمت الحجارة وركبتها اللعنة، وألقت
بني أرضاً . راحت الأوقات الطيبة ، وانقضت
الأوقات الحالية من الهموم المفعمة بالغناء . لقد
تأزمت الأمور الآن . لا ترجريني ، يا نور
عيني لو كنت آتي في جنح الليل، وأثير فيك
الرعدة . ليس الذنب ذنبي أيتها المنكودة .

الزوجة : الذنب ذنبي أنا، يا بنائي ، أنا المرأة قليلة الحكمة
والتجربة التي لا ترقى إلى معرفة هموم زوجها
وآلامه ، ولكن لا تكترث بي كثيراً . دعني
أرعى البيت والولد ، وأن أفكر فيك وأحس
بالسعادة، ولا شيء أكثر من ذلك .

رئيس البنائين : أيتها المخلوقة البالغة الطيبة ، حتى في هذه الساعة
أيضا تبذلين نفسك دون أن تبغى لها شيئاً ؟

الزوجة : لقد أعطيتني مائة مرة أكثر مما كنت أرومه
حتى في أشد لحظات صباي طيشاً .

رئيس البنائين : أيتها المخلوقة حلوة الكلام ، لو نزلت نعمة الله
يوماً في هذا العالم الكتيب فلا أعرف ماذا
ستكون إن لم تكن ما تعطينيه أنت .

الزوجة : كم يريحني كلامك الآن، ويملائي عزاء .

رئيس البنائين : نامي . لقد تحدثنا بما فيه الكفاية .

الزوجة : قلت أنك ستغنى لى .

رئيس البنائين : (ينحنى عليها، ويهددها) نامى، يا من بعثت
أطلب لك من المدينة ذهباً ،
ومن فينيسيا ثيابك وحليك .

نامى ، يا من يحىكون غطاء سريرك فى المدينة ،
ويزينه لك اثنا وأربعون نسا جا .

(تغمض الزوجة عينيها . تدخل العجوز من
الباب فى هدوء . تلتقى نظراتها بنظرات رئيس
البنائين ، فترسم علامة الصليب)

رئيس البنائين : ترسمين علامة الصليب ، أيتها العجوز .

العجوز : كان الله فى العون .

رئيس البنائين : أية قوة جعلتك ترسمين علامة الصليب ، وأنت

تدخلين هذه الحجرة التى ينام فيها أناس أحياء ؟

العجوز : بدا لى كما لو كنت قد سمعت خطوات الموت

تسرى فى البيت . أنا عجوز ، أعرفه ويعرفنى .

واذ دخلت هنا خيل لى أنى أراه منحنيا عليها .

(يغنى لها بصوت خفيض)

رئيس البنائين : (كما لو كان يفتق من غيبوبة) الموت فى البيت ،

فى الفراش ، فى روحى . يا شبح الليل لقد

وطأت خشبة نخرة . أيها المصير المظلم ، إنى

أتحطم وأندثر. تحية وسلاما. من من أبناء الصنعة
في يومنا هذا أهل لمثل هذا الاختيار المشرف
من جانب سيدنا اللعين ؟ ولكن الحرية لا مثالي
من ذوى الجمال الصلبة، والشوارب الحديدية .
أيتها العجوز الطيبة اسمعي . إنني حر . إنني
حر .

(يخرج - تركع العجوز إلى جوار الفراش
وتصلي)



المشهد الرابع

(اليوم التالى عند الجسر . رئيس البنائين يقف
فى جانب مفكرا . يحيط البنائون والحارسان
بعازف العود الذى يعزف على أوتار عوده)

عازف العود : خمسة وأربعون بناء ، وستون صبيا ،

كانوا يبنون على نهر آرتا جسرا .

طيلة الايام يبنون ، ثم يمسي بالليل منهارا .

البناءون : تبا لكدنا والجسران على عملنا .

الأيام الطوال نبى ، وبالليل يهدم ما بنينا .

عازف العود : عصفور مر ، وحط على ضفة النهر .

لم يكن يغرد مثل العصافير ولا الطيور ،

بل كان ينشد قائلا بصوت البشر :

لو لم تدفنوا انسانا ،

لن يقوم جسر ، ولكن حذار لا تدفنوا غريبا

أو شريدا ،

بل زوجة رئيس البنائين الحميلة ، إدفنوا .

البناءون : الصباح يملأ الجبال ، والدموع تغمر السهول ،
والدروب تفيض بالصفائر المحلولة :
عازف العود : لقد وضعت حراسا ثلاثة :

الشمس على الجبال ، والنسر في الحقول ،
وريح الشمال الرطبية عند الجسر ،
لكن الشمس غربت ، والنسر غلبه النعاس ،
وريح الشمال جرفها النهر .

وهكذا أعطيت الفرصة للموت ان يأخذك .

البناءون : الآن ، يا سماء إرعدى ، الآن يا سماء أمطرى .

صبي الأمطار في الحقول ، وعلى الجبال الثلوج .

عازف العود : محظوظة هي الجبال ، محظوظة هي الحقول ،
إنها لا تنتظر موتا ، ولا قاتلا تتوقع ،
بل تنتظر ربيعا ، وصيفا جميلا .

(يدخل المساعد ، وقد ربط ذراعه اليمنى)

المساعد : إنها آتية . لاح لى ثوبها عند ناحية الطريق .

رئيس البنائين : مرجبا بها .

المساعد : ماذا ستقول لها ؟

رئيس البنائين : لا أدري .

المساعد : لابد أن تجد حكاية .

رئيس البنائين : لا أعرف أن أقول حكايات .

المساعد : لا يجب أن نخيفها ، بل نأخذها برفق ، لمصلحتها ،
حتى لا تحزن .

رئيس البنائين : وماذا لو حزنت ؟ ألم يركبنا الحزن نحن أيضاً ؟
المساعد : مسكينة . ألا نشفق عليها ؟ .

رئيس البنائين : كفى كذباً ، أيها الرجل . كفى أحزاناً . الرقة
زادت عن حدها . ألسنا وحوشاً ؟ أنظر إلينا
جيداً ، وإلى نفسك أيضاً ، لو استطعت أن تجد
مرآة ماذا ترى سوى قطيعاً من الوحوش الضارية
جمع بينها شهوة التعطش المظلم إلى الدماء .
وإذ شمت رائحة الصيد قبعت مترقة متحفزة .
دعك إذن من الحجل ولنكف عن إخفاء
وجهنا الحقيقي .

المساعد : اسكت ، أيها التعس . إنك تتكلم مثل المريض
أو الطفل . هل فقدت صوابك ؟ .

رئيس البنائين : تخاف أن تسمع الحقيقة ، أيها الرجل العاقل .
لقد استمتعت ليلة أمس بأن رأيت رجاحة عقلك ،
وكيف طارت إزاء الأعيب الليل الملعون ،
ولكنك ربت أمورك مع الليل ومع كل شيء ،
لم يرتح عقلك وقتاً طويلاً . وجدت سريعاً
الحل الوسط . وجدت الرقة والإشفاق .

المساعد

: أنت الذى أشفق عليك أكثر من أى شخص

آخر. أحس كم تتعذب وينفطر قلبي من أجلك ،
كما لو كنت أخى ، ولكن لا يحق أن أتركك
تتكلم مثلما تكلمت . فنحن لسنا كما تقول ،
بل نحن صنّاع شرفاء عاملون ومقدرون للتبعة .
بنا شغف إلى هملنا ، ونتوق إلى إنجازنا لنخلص
من اللهفة التى تعذبنا . وأنت أكثرنا لهفة إلى
ذلك . لم تصبح إذن وتثور طالما تعرف أن ما من
سبيل غير هذا السبيل ؟ إننا سنقدم التوضيح
المطلوبة منا . إنها ضرورة ، حاجة ملجئة ،
إنها لعنة ن نحن ونرضخ لها . ليست مهمتنا
أن نتصارع مع الشياطين ، بل أن نبني حجراً
فوق حجر بإيمان ورجولة وشجاعة .

رئيس البنائين :

(يضحك) إيمان ... رجولة ... شجاعة ...
دعوا هذا الكلام الأجوف ... هذا ما كنا
نتنظره لكى نشرع فى العمل الموفق بعقل راجح
وضمير مستريح . أيها الرفاق ، ارفعوا من
روحكم المعنوية .

المساعد

: إسكت . ستصينا جميعاً بالحنون .

(تدخل الزوجة)

الزوجة : تحية وسلاماً ، أيها البنّاءون. (برهة صمت) ماذا حدث لكم ، يا رجال الطيبون حتى علاكم الصمت والوجوم هكذا ؟

المساعد : عمال الجسر يحيونك ، يا سيدتي .

الزوجة : ولكن ، لم توقف عملكم ؟ ورئيس البنّائين الذي بعث يطلبني على وجه السرعة ، فنفضت يدي من كل شيء ، وجريت مليئة نداءه ، لماذا هو ثقل القلب هكذا ، ولا يلتفت ناظراً إلى ؟

المساعد : يا سيدتي ، لا تؤاخذيه . الرجل ركه هم كبير ، ولكن لا ذنب لك فيما ألم به . هناك ، تحت الصف الأول من الأعمدة ، في حفرة عميقة ...

رئيس البنّائين : إسكت .

المساعد : سكت ، يا سيدي .

الزوجة : ما الذي أصابك من هذه الحفرة ، يا رجل الطيب ؟

رئيس البنّائين : ما الذي حدث لي ؟ هل من الضروري أن تسألني عن كل شيء ؟

الزوجة : ألم تدعني أنت هنا ، في مكان عملك ؟ أليس لي أن أسأل فيم تريدني ؟

رئيس البنائين : تسارعين دائماً إلى حيث يطلبونك . تجرين لتصلي قبل من ينتظرونك .

الزوجة : أيها البناء، أأنت الذي طلبت مني أن أعجل؟ ألم تقل أنك ستنتظر مجيئي توأ .

رئيس البنائين : قلت، وعدت عما قلته . إني أقول ، وأعدل عن قولي . لم أعد أعرف أين أوجد . لقد أربكت عقلي بإصرارك وباستجوابك لي عن كل شيء .

الزوجة : حسناً ، فلأقفل راجعة ، إذن .

رئيس البنائين : إفعلي ما شئت .

المساعد : ستصرف إذن ، يا سيدي ؟..

رئيس البنائين : ستبقى ؟ ستصرف ؟ يجب على أن ... أن أتخذ قراراً في كل لحظة ؟

المساعد : إعتقدنا جميعاً أنك كنت قد اتخذت قرارك ، ولكن ما دمت قد تخاذلت وتراجعت ..

رئيس البنائين : كف عن هذا الأمر ، أعرف ماذا تعتقدون كلكم في ، وأشعر أنها لو انصرفت سنجرى بعد قليل مثل المجانين لنعيدها . ما من مفر . هذا ما أراه . أتمم حكايتك ، طالما كنت قد بدأتها .

الزوجة : لا بد أنها غريبة جداً ، وصعبة التفسير ، هذه

الحكاية التي أحضرتهموني اسماعها ، طالما أنها
تثير كل هذا اللبس .

المساعد

: يا سيدتى ، ها هو الأمر كله . وقع خاتم
زواجك من يد رئيسنا فى الحفرة التى قلت لك
عنها ، وقد قام فى روع البنائين أن هذا نذير
شؤم ، وأعلنوا الإضراب عن العمل . خيل لهم
أن هذه الحادثة إشارة إلهية بأن الجسر الذى
بنيناه أكثر من مرة يدبر لنا كوارث أخرى .

الزوجة

: يا رجالى ، كنت أتوقع أن أسمع شيئا مخيفا
أكثر من ذلك ، ولكن الآن يبدو لى انكم قد
أمسيتم كلكم صبيانا .

المساعد

: لا تسلى ، يا سيدتى . طوال النهار أخطب فيهم ،
وبعد لآى توصلت إلى أن أجعلهم يعتقدون
أنه لو عثر على الخاتم يمكنهم بلا خوف أن
يعاودوا العمل ، ولكن ما من أحد منهم يجسر
أن يدخل الحفرة ، بل ولا يتركوننى أنزل إليها
ولا رئيس البنائين . لقد صور الخبل لهم أنه
لكى ينفذ السحر لا بد أن تنزلى سيادتك .
هكذا هم ، متشبثون بالحياة ، لا يحيدون عن
رأيهم ، رغم أنهم صبيان فى تفكيرهم .

الزوجة : أهذا ما يملكك حزنا ، يا رئيس البنائين ؟ سأنزل

حالا لأبحث عن الخاتم وأجده .

رئيس البنائين : إفعلى ما يهديك اليه الله .

الزوجة : يا رجلى الطيب ، فى طريق مجيئى ، كانت السماء

وضاءة صافية الزرقة ، كما لو كان اليوم

بداية الخليقة . وكانت المروج مفعمة

بروائح الجنة كلها ، والنور يفيض بالفرحة

والغموض . وكان الله متجليا فى هذه الأشياء

حتى إنه كان من غير الممكن ألا أفتحه

الحديث ، وربما لم يكن لديه وقت للاصغاء إلى .

إلا أنه يبدو ان ثمة أحداً ممن هم محل ثقته قد انتبه

إلى ، واحداً من أولئك الذين يحملون رسالته

إلى البشر . وربما كنت ايضا قد رأيت كل هذا

فى حلم ، فأنا بدورى منذ أمس مرتبكة بعض

الشيء ، كما ترانى ، ولا اذكر جيداً . ولكن

كلمة الله تدفىء اعماقى . وها أنا أجيء اليك

مفعمة بالحرارة والأمل .

رئيس البنائين : ما دمت قد تفاهمت مع ربك يا امرأة فما

جاءتنا إلى نقاش آخر ؟ لا بد ان أكون انا

أيضا أداة من أدواته على نحو ما ، لأنه من

العبث ألا يكون قد أقر هذا العمل الكبير الذى
أضعه موضع التنفيذ . وكل هذه الأمور التى
تحدث لى لا بد أنه سيرتضيها ويباركها على
نحو أو آخر ، والا فيما أمن ؟

المساعد : فلندع الرب فى ملكوته ، ولا نضيع مزيدا
من الوقت فى الكلام والجدل . هل انت
مستعدة يا سيدتى الطيبة ؟

الزوجة : أجل ، أيها الرجل . أين يجب على أن أنزل ؟

المساعد : تعالى من هنا ، من فضلك .

(يقودها إلى جوار حفرة تحت بعض الأعمدة)

الزوجة : إربطونى . (يربطونها) أعطونى ضوءاً
(يعطونها مصباحاً مضيئاً) ساعدونى على النزول ●
(يساعدونها ، وتترل . يرخى البناءون الحبل)

المساعد : هل وطأت القاع ، يا سيدتى ؟

صوت الزوجة : وطأته .

المساعد : هل وجدت شيئاً ؟

صوت الزوجة : إنى أبحث .

المساعد : إمغى فى البحث ، يا سيدتى . إبحثى مرة
أخرى ، يا سيدتى الطيبة .

(إلى رئيس البنائين) يا سيدى نحن فى انتظار
أن تأمر .

رئيس البنائين : تريدون أن آمر ، يا إخوانى ؟
البناعون : بما تراه ، أيها الرئيس . بما يقواه لك قلبك :
بما يريد الله .

رئيس البنائين : أن آمر ، يا تلامذتى ؟ أن آمر ، يا صبيانى ؟
البناعون : بما تريد ، أيها الرئيس . بما تتوق إليه روحك :
بما تعتقد أنه الصواب .

رئيس البنائين : الصواب ... الله .. الصواب ... الله ... أن
أمر إذن ، أيها الأصدقاء ..

البناعون : أيها الرئيس . ماذا تريد ؟ أيها الرئيس .. قل ...
صوت الزوجة : أيها الرجل الطيب ، إجذب الحبل .. لقد بدأ
الخوف يتملكنى .. وقواى تخور ..

المساعد : إنته ، أيها الرجل ، نو كنت أهلا لأن تحكم
هذا المجموع .. أشفق علينا او أشفق عليها
هى أيضا ...

رئيس البنائين : تبغون أن آمر ، يا شجعانى ؟ أن أشفق عليكم ؟
أن أحكمكم ؟ يا رجالى الطيبون الحبل أضحى
الآن فى يدى أنا .. يا رفاق جسر آرتا ، يا من
تصارعون الحجر ، يا أهل الفخر والمديح

رئيسكم قد أمر بعدم الإشفاق والنكران وبأى
شئ آخر تتوق اليه قلوبكم الحجرية .. إلى
أمر : سدوا الحفرة .. هيا ..

(يجرى البناءون جميعا إلى الحفرة كما لو كان
قد استبدت بهم لوثة جماعية ، ويشرعون في
سدها . يحضر رئيس البنائين حجرا كبيرا
ويضعه فوق المواد الأخرى المتراكمة . يعزف
عازف العود . يبنى البناءون غطاء الحفرة .
وتنطلق العبارات التالية من جانب البنائين
والحارس الثانى ورئيس البنائين فى خضم حمية
العمل .)

البناءون

: الأدوات .. الجير ... الملاط .. هيا .. معا ..
أغرب أيها الفقر .. إهجموا ، اهجموا .
هيا .. رويدكم فقد وصلنا .. تعالوا بنا فقد
خلصنا .. على بركة الله .. هيا .. ماذا أفعل
لك أيتها المرأة المنكودة ؟ منذا الذى ينقذك من
قدرك المظلم ؟ ليس الذنب ذنب أحد، أيتها
الروح الضائعة .. هيا .. تعالوا بنا لنتهى ..
لنتحرر . تعالوا بنا ننجو .. هيا .. لنفك
السحر .. لنقضى على الحسد .. لنعد بشرا من

جديد .. هيا .. أحضروا الملاط .. البحر
والأدوات ...

الحارس الثانى : لماذا ، لماذا ؟ أيها الفتيان ؟ لماذا فعلتم هذا ،
يا إخوانى ، يا أبناء الله ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا ؟

رئيس البنائين : (يجرى هنا وهناك مشجعا) هيا .. هيا .. عمل ..
حرية .. هيا .. طريقة أخرى أيضا .. دقوا
بشدة .. إغلقوا عليها الحفرة بأحكام .. خشية
أن تفلت منكم .. إنتهوا جيدا .. هيا .. أيها
الصناع المهرة ، أيها المحيدون .. فى سبيل
مشروعنا الكبير . فى سبيل حريتنا الغالية
تجلدوا ... دقوا .. تحمسوا فقد انتزعنا القلعة
من الشيطان ، إنتزعنا منه الجسر الملعون اللثيم...
هيا ، يا رجالى ، يا فتيانى ، يا اولادى ..
دفعة أخرى ... دقة أخرى .

الحارس الثانى : لماذا يا رفاقى ؟ لماذا يا إلهى ؟ لماذا ؟ لماذا ؟
(تدخل العجوز . يتوقف العمل . تتقدم
العجوز)

العجوز	: ابنتى .
المساعد	: ليس لك إبنة ، أيتها العجوز .
العجوز	: (لرئيس البنائين) فتانى ... زوجتك .

- رئيس البنائين : ليس لى زوجة .
- المساعد : جمدى قلبك ، تشجعى . كان الأمر ضروريا ..
- العجوز : عن أية ضرورة تحدثوننى ، أيها الناس المظلومون ؟
- المساعد : حياتها وحياتنا حكمت . الضرورة اقتضاها عملنا .
- العجوز : أيها الناس القساة ، ماذا فعلتم با بنتى ؟
- المساعد : للضرورة أحكام ونحن أذاتها .
- العجوز : أيها الناس المخادعون البغاة أطالبكم بابنتى .
- رئيس البنائين : هممت أن أوقفها وأصدها فقالت أنها قد تفاهمت مع ربها .
- العجوز : أيها الناس المتوحشون ، أين ابنتى ؟ قلدة كبدى ..
- سويلاء قلبى .
- رئيس البنائين : أيتها العجوز ، لقد أمضيت حياة بأكملها فى سلام وسعادة ، فتقبلى هذه الصدمة بصبر .
- لقد عشت ونلت نصيبك من هذه الدنيا ، وها هو حسابك قد سدد . الذى كنت تعرفينه انقضى الآن ، فقد قلب القدر صفحة جديدة ...
- إبنتك الرائعة الجمال ، سيدتنا ، قد ضحت بنفسها ليقوم جسر آرتا . إنها مدفونة فى الحجر .

العجوز : اللعنة عليكم والهلاك .

المساعد : ستسند روحها إلى الأبد دعائم عملنا هذا العظيم ،

وجمالها سيجعله مزهرا ، ووداعتها ستبعث فيه السكينة ، وطيبتها ستضفي عليه القداسة .

العجوز : اللعنة على الجسر .. اللعنة على العمال وامصبيته ..

المساعد : يا امرأة الزمن الغابر . غيرى كلامك لو كنت

تشفقين على البشر ، لأن جسر آرتا لا نبنيه

لأنفسنا ، بل نبنيه لهذا البلد الذى نحن فى

خدمته ، للشعب الذى يتطلع إلينا ، للبشر

الذين سيعبرونه فى السنين المقبلة وسينعمون به ،

ودون ان يعرفوننا سيتوجهون إلينا بالشكر .

إسحبي إذن لعنتك ، — أيتها العجوز ،

وفكرى فى أنك ستسلمين روحك لباريك

يوما .

العجوز : اللعنة على جسر آرتا .. فليرتجف كلما ارتجف

قلبي .. وليسقط المارة الذين سيعبرونه كلما

سقط شعري .. اللعنة على البنائين الذين يبنونه ..

اللعنة على البلد .. اللعنة على الشعب .. وامصبيته ..

وامصبيته ..

(تنكب على الحجارة وتبكي . يختلط بكاءها

من وقت لآخر بما سيلي من غناء)

عازف العود : طالما تأهبت للذهاب في الرحلة البعيدة ،

أريدك ان تقولي لأملك متى ستعودين للبيت ،

حتى يكون لي رجاء ، ولا يزول عني الأمل ،

وحتى أملأ لك الفناء زهرا ، وأفرش لك وردا ،

وأجهز لك طعاما للغداء والعشاء ، وأعد لك

سريرك لترقدى وتنامي .

البناءون : الطريق الذي مرت به لم تعد منه ،

وراحت إلى جبال النسيان وبثر العدم ،

واتخذت من الأرض فراشا ، وبالحجر تغطت .

عازف العود : منذ الذى اشعل النار في البستان ،

فاحترق سور الكرمه ، واحترق البستان ،

واحترقت ايضا الشجرتان الشقيقتان .

الاولى احترقت وسقطت ، والثانية احترقت

وظلت قائمة .

تلك التى احترقت وسقطت إنتهت متاعبها ،

أما التى احترقت وظلت قائمة فالتاعب كانت

أمامها كثيرة .

البناءون : ذهبت إلى جبال النسيان ووديان الصمت ،

يا شهر مايو الرطيب ، ويا شهر ابريل الزاهر ،

يا ابريل المثمر ، ويا مايو المدلل الحبيب .

عازف العود : خمسة وأربعون بناء وستون صبيا ،

بنوا على نهر آرتا جسرا .

بش مصيرها ، والحسرة على قدرها .

الحارس الثاني : ما أسوأ مصيرها . لماذا أيها الفتيان ، لماذا ؟

الحارس الأول : إسكت ، أيها الرجل . هل سنصفى إليك

أنت أم الى الهم الذى يأكلنا ؟

الحارس الثاني : لماذا يا أسيادى ؟ لماذا ، يا يسوع ، ويا أيتها

العدراء ؟ .

الحارس الأول : إسكت ، قلت لك . ألا ترى أنك تبعث الرعدة

فينا ؟

الحارس الثاني : لماذا ، يستبد بنا اللعين ؟ لماذا هذه الخطيئة ،

هذه الكارثة الكبيرة ؟

الحارس الأول : قلت لك مرة ، قلت لك مرتين ، أغلق فمك

والا أغلقته لك أنا .

الحارس الثاني : حلال فيها كلامى ، يا صاح . لماذا ؟

الحارس الأول : سأقتلك .

الحارس الثاني : أقتلى ، يا رجل ... لماذا ؟

الحارس الأول : لماذا ، يا رجل . ، تسأل ؟ وهل يعرف أحد

لماذا ؟ أم نجيل اليك أن ما من أحد غيرك
يتألم ؟ اللعنة علينا ، يا رفاق ، فلتحل بنا
المصائب ، وتقع علينا النكبات .. بالله ، كيف
حدث هذا الذى حدث اليوم ؟

(فجأة ، ينشب شجار بين البنائين والحراس ،
ويتعالى صياحهم ، ويلوحون بأيديهم ، ومن خلال
هذه الضجة يتعالى من وقت لآخر صوت
الحارس الثانى متسائلا : لماذا ؟)

البناءون والحراس : كيف حدث هذا ؟ كيف فعلتموه ؟ كيف

استطعتم ؟ كيف احتملتم ؟ لماذا ؟ من كان
السبب فى هذا الذنب ؟ من الذى بدأ ؟ من
الذى جعلنا ننقاد ؟ من الذى أعمى بصائرنا ؟
لماذا ؟ ذلك الذى يدعى السطوة .. ذلك الذى
يتخذ القرارات .. ذلك الذى يصدر الأوامر ..
لماذا أصغيتم اليه ؟ لماذا ؟ كان الأمر ضروريا ..
كان الأمر ملحا .. كان الأمر خدعة وإفكا ..
كان خطيئة وشرا . كان استهتارا وضلالا ...
كان رعبا وجبنا .. لماذا ؟ لنخلص من السحر ..
لنتنقذ أجورنا عن المقاوله .. لنجد من جديد
السكينة والبهجة .. ولكننا وجدنا الاضطرابات

والمشاحنات.. وجدنا العناء والأخفاق.. لقينا
وقتا أسود.. لستم رجالا.. أنتم فاسقون...
أنتم نهايون.. صعاليك.. لصوص تافهون
رعاع أدنياء.. تستأهلون الرثاء.. كلنا..
كلنا ضائعون ينخر فينا السوس، ومخابيل..
لماذا؟ لماذا؟..

(تنهض العجوز وقد داخلها الهدوء.. تتقدم)
العجوز : ليكن الجسر حديدا مثل قلبك.. ليكن المارة
حديدا مثل شعرك..

البناءون : (وقد دخلت السكينة قلوبهم) آمين..

العجوز : إهدئي، يا بنتي.. لن تزعج نومك اللعنة التي
صبيتها على جسر آرتا.. لقد سحبتها ما دامت
هذه كانت مشيتك.. فليستند الجسر المرموق
عليك، وليتطهر من أجل خاطرك.. ستمنحه العذراء
الصلابة والمحبة، وتجلب إليه بركة السماء..
وهؤلاء العمال المساكين الذين أعمتهم شهوة
جامحة، هي ضرورة عملهم الشاق، فأغلقوا عليك
الحجر، متقادين لأمر أعلى من إرادتهم
فليغفر لهم أيضا.. صبيان هم هؤلاء الملتهبون،
متوحشون وأبرياء.. (إلى رئيس البنائين) أما

أنت، يارجل المصائب ، يا من فكرت وقررت
ثم أمرت ما الجدوى أن أصب عليك لعنتي
أو أن أغفر لك ؟ منذ الذي سيقف إلى جوارك
بعد الآن، ويسندك ويشد أزرك، بل ومنذ الذي
يناصبك العداء ؟ وحلك انفصلت إلى الأبد عن
البشر . لم تعد بعد الآن منا، ولا أحد يقبلك.
سينكرك رفاقك حينما يفيقوا من سحرهم ،
وشعبك سيلقي بك بعيدا عنه ، وسيهجرك ابنك
أيضا عندما يحس في حضرتك هول العزلة
المحيطة بك . ما من قلب بشري سيعن اليك بعد
الآن، ويخفف من مرارتك . ستهيم من بلد إلى
بلد يتيها غريبا. سترتجف أبدان الأولاد عندما تمر
بهم .. ويل لك ، ويل لك ..
(تنصرف . برهة صمت)

المساعد : أيها الرفاق ، عملنا يدعونا . (برهة صمت) أيها
الرفاق ، ماذا تنتظرون ؟ (برهة صمت) ماذا
دهاكم ؟ أيها الرجال المأخوذون ، نسيتم
أنفسكم هكذا ومضيتم تنظرون إلى فاغري
الأنفواه ؟ إني أناديكم ، إنه وقت العمل
(تهب من جانب البنائين همهمات تنطوي

على التهديد) لم ترحلون هكذا، وتنمرون؟
أهو تمرد حقيقى اذن ؟

البناءون : (يلقون بأدواتهم) فليسقط .. فليسقط ..
فليسقط ..

المساعد : أيها الرجال الموعجون المخابيل ، أتنكرون
لعملكم ؟ أتنكرون لمشروعكم الكبير ؟

البناءون : فليسقط المشروع .. فليسقط العمل ..

المساعد : أتنكرون للعهد الذى قطعتموه ؟ أتنكرون
لرئيسكم ومعلمكم ؟

البناءون : فليسقط ، فليسقط القاتل .

المساعد : أنتم القتلة .

البناءون : فليسقط من أضلنا .. فليسقط تلميذ الشيطان ..

فليسقط الحائن الذى سحرنا .. الذى جلب علينا

اللعنة .. الذى جعلنا نأثم .. فليسقط جسر

آرتا .. فليسقط السفاح .. فليسقط المخادع .

رئيس البنائين : (يسيطر على الموقف فجأة) أيها الرفاق ، أوقفوا

هذه الحركة .. تذكروا من أنتم ، وأى هدف لم

شملكم هنا على شاطئ هذا النهر .. هل أنتم

مجرد جماعة التمت عرضا حتى تنهارون هكذا

منذ أول ذبابة تلدخكم ، دون تدبير أو تفكير ؟

أَلستم بنائى ؟ أَلست رئيسكم ؟ أَلم نذرع اليونان
معا خطوة خطوة ؟ أَلم نصارع الحجر سويا
بعشق وألم ، وأقمنا القلاع والقصور وأبراج
الكنائس عالية تطاول السموات الزرقاء ؟ ليكن
الشعب وحده موضع اعتباركم . إنه يكن لكم
الاحترام ، ويضع فيكم ثقته . إنه ينتظر بلهفة
مشروعكم الحديد الذى وعدتموه به ، أعظم
مشروعاتكم قاطبة . إن أرواحنا تنتظره بلهفة
هى أيضا ، وإذا لم تشهده منتصبا يلمع فى ضياء
الشمس كالذهب فانها لن تنجو من العاصفة
الموجاء التى تكتسحها . أفيقوا ، أيها الرفاق .
لن ابتعد من جانبيكم حتى أوصلكم إلى مرفأ
الخلاص . وبعد ذلك ، إطردوني اذا لم يكن
يروق لكم وجهي ، إنبذوني ، واهجروني
كما شتم .. هذا حق اكم وعدل .. أما الآن فى
ساعة المعركة فاني أهيب بكم وأصيح فيكم ..
إلى الأمام ..

(يجمع البناءون أدواتهم فى صمت ويقربون
من الحجارة . ويرتفع رويدا رويدا من الجمع
جلبة العمل)

عازف العود : خمسة واربعون بناء ، وستون صبيا بنوا على
نهر آرتا جسرا، فكف نواحهم ، وجفت دموعهم.

الحارس الثانى : لماذا ، أيها الفتيان ؟ لماذا ؟ .
(ينخر فى أحد الأركان وينخرط فى البكاء . .
تمضى ايقاعات العمل وجلبته متزايدة)

عازف العود : يا مركبى المثلث القلاع المحمل بالفضة ،
الذى أشرعتك من حرير ، ومجاديفك من فضة ،
وحبال أشرعتك من الذهب المصقى ،
وحبال أشرعتك من ذهب ،
وحبال أشرعتك من ذهب ...



المشهد الخامس

(سنين عديدة مضت . نحن على أبواب المدينة
التي تبدو على يسار الناظر : قلعة ، مبان كثيفة ،
باب وأبراج كنائس . الحلاء إلى اليمين . في أغوار
المسرح ، يبدو الجسر شامخاً ومتزناً . الوقت
ليلاً . ثلة من الفتيات والفتيان يغنون ويرقصون .
العاظف العجوز يعزف العود . يجري أولاد
صغار بين الراقصين ضاحكين صارخين)

الفتيات

: تعالوا نغني ، ومن يغار فليختنق ،
وليشرب علقما مرا ليشفي من غيرته .

الفتيان

: إعزف ، أيها العازف ، جيداً ، إعزف بشدة
وبقوة .

ربما سحرناها ، سوداء العينين تلك .

الفتيات

: ليشرب من يغار علقما ، وزيت الزيتون البرية .
إنا نغني جماعة .

الفتيان : إعزف ، أيها العازف ، جيداً ، وسأنقذك أجرك .
سأنتزع من الرقص فتاة أعطيها لك أجرا .

الفتيات : لا أغنى حبا ، ولا أغازل أحدا .
انى أغنى فحسب لأسعد بعالمى العلوى .

الفتيان : ملاك انت ، يا قرة عيني ، ورقصك رقص ملائكى .
انك تملئين قلبى عذابا ، إذ تخطرين بخطوملائكى .

الجميع (معا) : فلا أغنى وأسعد ، وألعب وأضحك .
الصبا لم يعد يباع حتى أشتريه .
(تدخل فتاة وقد استولى عليها الفزع . يتوقف
الرقص) .

الفتاة : إنه آت من جديد ، هذا العجوز ، الشبح .

الفتيان والفتيات : أما زال هنا ؟ أين رأيتَه ؟ .

الفتاة : هناك ، فى الغاب . كان قادما نحونا . وبالشدة
جزعى .

الفتيان : لنقل له أن ينصرف . لا نريده . من حقنا هذا .

الفتيات : كلا . كلا . لنصرف نحن .

أحد الفتيان : نحن فى بلدتنا ، وهو غريب .

الفتيات : كلا . هيا لنصرف .

فتى ثان : همن تتكلمون ، يا أولاد ؟ .

الفتى الأول : إستيقظ . ألم تعلم بنجر هذا العجوز الذى يهيم
مثل الشبح حول الجسر منذ أول أمس ؟ .

الفتى الثانى : بالتأكيد، رأيت عجوزاً ، ولكن ماذا فعل بكم ؟

الفتى الأول : لاتعجبنا طلعتة . إنها لاتروق لأحد . مامن أحد

يحدثه ، وتسرى الرعدة الباردة فى أوصال من

ينظر فى وجهه .

الفتيات : لتنصرف يا أولاد ! لتنصرف !

فتى ثالث : لابد أنه قد ارتكب جرماً ، وأتى للاختفاء فى

بلدتنا .

الفتى الثانى : أليس من الجائز أن يكون مجنوناً ؟

فتى رابع : إنه ليس مجنوناً ولا مجرماً . لو أردتم رأيي ،

هو ...

الفتيان والفتيات : ماذا ؟ ماذا ؟ أتخاف أن تقول ؟

الفتى الرابع : لابد أنه أبرص !

الفتيان والفتيات : أبرص !

(يدخل رئيس البنائين وقد تقدمت به السن كثيراً

وانحنى قامته واتكأ على عصا . يتسلل الفتيان

والفتيات منصرفين ، وقد نددت منهم همسات

فرجة ، وصيحات خفيفة . يهز رئيس البنائين

رأسه ثم ينظر إلى عازف العود الذى يمضى فى

العزف دون أن يلحظ ماحوله . يمضى رئيس
البنائين إلى أحد الأركان ويجلس متعباً)

رئيس البنائين : سرتجفون عند مرورك . هكذا قالت . ستهم
فى الدنيا غريباً وحيداً . سينكرك رفاقك والشعب
كله وابنك . هكذا قالت . ماذا بوسع ابنى
أن يفعله ؟ كيف يمكنه أن يرتاح إلى جوارى ؟
يفر الشباب موايا مثل الطير الخائف ما أن يشعر
باقترابى ، كما لو كانت الأرض تجف تحت خطواتى .

عازف العود : (عازفاً) ليكن لجسر حديداً مثل قلبك .
ليكن المارة حديداً مثل شعرك .

رئيس البنائين : أعن هذا الجسر تتكلم ، أيها الرجل الطيب ؟

عازف العود : عنه أتكلم ، وهل أعرف غيره ؟

رئيس البنائين : إلى قلب امرئ وشعره أشرت . من كنت
تقصد ؟

عازف العود : امرأة شابة بالغة الجمال ، وروحها مفعمة
بالوداعة مثل قديسة . امرأة من الزمن القديم .

رئيس البنائين : وماذا كان شأن المرأة التى تشير اليها بالجسر ؟

عازف العود : دفنت — هكذا يقولون — فى أسس الجسر
لترسى دعائمه ، لأنه كان ملعونا ، وبذلك بورك

الجسر، وحلت به النعمة . إنها حكايات يرويها
الناس .

رئيس البنائين : مفارقات، وأحداث غريبة .
عازف العود : الحياة مليئة بالمفارقات والغرابة . هيهات أن
يفهمها المرء كلها .

رئيس البنائين : (متطلعا إلى الجسر) كان هذا الجسر نصراً
عظيماً ، ثمرة السنين الطيبة . لا بد أن روحهم
قد لقيت العناء والعنت . ولا بد أنهم من أجل
هذه المرأة التعسة قد تألموا كثيراً .

عازف العود : حكايات قديمة . منذ الذى عاد يذكر الآن !
(يعزف) .

خمسة وأربعون بناء ، وستون صبياً .
كانوا يبنون على نهر آرتا جسراً .
طيلة الأيام يبنون ، ثم يمسي بالليل منهارا .

رئيس البنائين : لا بد أنهم قد تألموا ، وبكوا .
عازف العود : لولم تدفنوا انسانا ، لن ينتصب جسر ،
ولكن حذار ، لا تدفنوا يتيماً ، أو غريباً ، أو شريداً ،
بل زوجة رئيس البنائين الحميلة .

رئيس البنائين : فلتعمها الراحة والسكينة .
عازف العود : مضى واحد بالملاط ، والآخر بالجير ،

وأخذ رئيس البنائين حجراً كبيراً وألقاه .
ويل لأقدارنا ، والخسران على مصائرنا .
ثلاث شقيقات كنا ، وثلاثتنا للشقاء كتبنا .
الدانوب شيدته إحدانا ، والأخرى شيدت الفرات ،
وأنا صغراهن شيدت جسر آرتا .
رئيس البنائين : أيها الرجل ، إنك تضيف من عندياتك أشياء .
الدانوب بعيد ، والفرات أشد بعداً .
عازف العود : الأغنية تقول هذا ، وطالما تقوله فلا بد أن ثمة
ما تعرفه .
رئيس البنائين : ومن أدراك أن زوجة رئيس البنائين كانت لها
شقيقتان ؟
عازف العود : الأغنية تقول ذلك . الأغنية تعرف ماتقوله .
رئيس البنائين : إذهب لتسأل عن أناس كانوا هناك .
عازف العود : الأغنية كانت هناك . الأغنية في كل مكان .
رئيس البنائين : الأغنية أنت الذى تنشئها .
عازف العود : أنا لأنشئ شيئاً . أنا أسمع همسات النسيم
المنساب تحت الأعمدة ، وفي ثنايا الغاب ، وخرير
الماء ، وحفيف الشجر ، وذلك عندما تعود هي
بالليالي في مثل هذه الساعات ، - وهم حزينتة -
إصغ .. إصغ .. (يعزف) .

ألبسني ثياب العرس ، فاني أتركك ، وداعا ،
وعندما يجيئك البناء لا تحزنيه .

إيسطي له المائدة ليتغذى ويتعشى ،
واخرجني خاتم الزفاف وهداياها ،
واعطيها للبناء ليخطب غيري ،

طلما أني سأتزوج بدوري ، واتخذ الموت قرينا..
(بينما ينشد العازف الأبيات السابقة ، يظهر
في أغوار المسرح شبح الزوجة مقتربا . يراه
رئيس البنائين ، فينهض مأخوذاً ، ثم يركع)

رئيس البنائين : زوجتي . زوجتي . مباركة أنت .

عازف العود : ما الذي يجعلك تتمم ، يا عبد الله ؟ ألا تسمع ؟

إيه ، أيها المواطن ألا تسمع ما أقول لك ؟
استيقظ . هاهو رجل لا يعرف ماذا يقال له .
أنت بدورك مختل العقل ، على ما يبدو . عبث
أطفال . هذيان عالم مخبول ، مرتج الصواب ، مصاب
بالدوار ، قسا بالعذراء المقدسة . فلا نصرف
لحال سبيلي . مع السلامة ، مع السلامة :
(يمضي منصرفا بخطوات عرجاء) هـ

رئيس البنائين : خيال أنت أم ظل ؟

الشبح : أنا أملك .

رئيس البنائين : أى امل لى ، أيها المخلوق الخيالى ، بعد ذلك اليوم

الملعون الذى فقدت فيه كل شىء إلى الأبد ؟

الشبح : هذه اللحظة كانت أملك يا بنائى ، وها أنا أجلب
الأمل اليك .

رئيس البنائين : يا امرأة ، هل تصفحين عني ؟

الشبح : أنا صفحت عنك من قبل ، أيها الرجل الطموح :

الذى مررت بتجارب مريرة. صفحت عنك منذ
الساعة المرموقة التى كنت قادمة فيها لالتقاءك
فى عمائر الجسر بناء على دعوتك ، والتقيت فيها
بعبابر السبيل على قارعة الطريق ، وبسط أجنحته
الذهبية ، وخاطبني لأكون على بينة ، كما قال ،
ولا أنساق كالحمل الغرير. هذا ما كانت تقتضيه -
على حد قوله - العدالة ، وعند تأملت أين أنا
ذاهبة بكيت ، وغفرت لك .

رئيس البنائين : انك تتعطفين على ، يا امرأة . انت يامن منحتنى

السعادة عندما كنت على قيد الحياة ، لأنى منذ
ذلك اليوم وأنا لا أحيأ . أنا عظام نخرة ، جثة
هامدة ، ولا مقصد لى أذهب اليه . الرياح
تقذف بى هنا وهناك بلا حساب ، ومنذ ذلك
اليوم الشيطاني دفنت كل شىء معك . لم يبق لى

إلا العدم . ذهب على أدراج الرياح . أخذوه
وولوا مبتعدين عني ، كما لو كنت مصابا بالطاعون
أو البرص . لم يوجهوا إلى قولاجارحا ولا لوما .
ويا ليتهم ألقوا في وجهي سبابهم ، أو خرجوا
لمنازلي ، أو قالوا ما بغيتهم ، ولكن كلا ، إبتعدوا
عني فحسب ، وتحاشوني . ليس لأحد شكوي ضدي
ولا أحد يطلب مني شيئا . تركوني هكذا أهم
كصعلوك لفظه حتى الصعاليك .

الشبح : أيها الرجل المتين الراسخ البنيان أضحيت مثل
غصن انتزع من شجرة كبيرة .

رئيس البنائين : راح الولد أيضاً ، وراح كل شيء . راحت حماسي
وحبي للعمل . سددت ماعلي ، وصفت حسابي ،
وصفت حساباتها معي الشياطين ، وولت بدورها
أيضاً . السنين تلو السنين همت على وجهي
في قرى ومدائن ، في بحور وجبال . لم يطقني
أي مكان . الرحيل ، الرحيل إلى مكان آخر
على الدوام ، إلى مكان أبعد على الدوام ، خوفا
من أن أتخفف مما بي ، وأضحى من جديد أنا ،
والكن أنتهى الأمر . كل الطيور طارت . لم
يخف ما بي . وها أنت ترينني ، قد عدت مثل

القاتل الذى يحوم بالليل حول مكان جريمته .
(ينحنى ويبكى - يسمع غناء الفتيان والفتيات
مبتعداً ، ثم يتلاشى)

غناء : شفتاك زيزفونة ، ونحكك تفاحة .

نهداك جنة ، وجسدك زنبقة .
أود أن أقضم الزيزفونة ، وألم التفاحة .
أدخل الجنة ، وأضم الزنبقة إلى حضنى ...
الشبح : أيها الرجل القوى أضحيت ضعيفاً ، وتجتاحك
الهموم مثل طفل صغير .

رئيس البنائين : قوتى تخلت عنى . لم أحتمل حتى الحبل أضعه
حول عنقى ، كما قلت لك . جفت فجأة لهفائى ،
وانطفأت النار التى فى دمنى . أضحيت خائر
القوى ، وساقاى سرت فيهما الرعشة . أضحيت
بلا كبرياء ولا خجل ، وما أن أنجز عملى حتى
وجدت كل قواى قد امتصت ، ونضب المعين .

الشبح : إهدأ ، أيها الرجل الشريف ، أيها الرجل العادل ،
الرجل الهالك . أكبرنا تضحية هو انت والله ،
ولست أنا . إهدأ ، إني أجلب اليك السكينة ،
وراحة البال .

رئيس البنائين : أيتها المباركة .. أيتها المباركة .

(يرقد على الأرض ، ويروح في النوم . ينجيم
الظلام . . يتعالى رنين الأجراس . تتجمع
على المسرح أشباح أناس . وبعد هنيهة
ترتفع من جمعهم المظلم صلاة : « الذكرى
على مر الأجيال باقية . الذكرى على مر الأجيال
باقية » يعم الضياء من جديد » ويرى الناظر
قساوسة يرتدون مسوحهم ، ويحملون رئيس
البنائين ميتا ، وقد تجمع من فوقهم قوم كثيرون
كما في لوحة دفن الكونت أورجاف ،
لإلجريكو ، وفي أغوار المسرح يلمع الجسر
وضاء . يضعون الجثمان ببطء على نقالة .
تنتهى الصلاة ، ويتكلم واحد من القوم موجهاً
خطابه من فوق الجثة إلى جمهور النظارة ،
بصوت جهورى ترافقه دقات الأجراس)

المواطن

: إسمعوا ، أيها الناس . إسمعوا أجراس الموتى .
إسمعوا نهاية المأساة ، نهاية كل مأساة ، نهاية كل
حماسة متأججة وكفاح . إسمعوا الصوت المؤذن
بالراحة والطهارة . إسمعوا صوت القدر عند
مغرب اليوم الدافئ الذى ينتضى . يا أهل
المدائن والحقول والجزائر . وأنتم يا من تركبون

البحار البعيدة ، إسمعوا أجراس المجد . إسمعوا
كيف يشتت الموت كعاصفة صيف سحابة
الحياة القصيرة بضربة واحدة ، وكيف يحترق
الجمع مدهوشا حول الجثمان ، ويتأمل الرجل
وطلعه النقية المتحررة . إسمعوا ، يا أهل
هذه البلد ، إسمعوا الأجراس التي تتعالى جلبتها
من أغوار الزمن السحيقة . إسمعوا لغة الأسلاف
والعظة التي يقولها الثري والحجارة والأبنية
القديمة الموشاة بالذهب . إصغوا إلى الكبرياء
والرجوة ، وقداسة العمل المتقن ، والتضحية الإنسانية.
إسمعوا ، أيها الناس الذين دوختكم اضطرابات
الزمن المريض (عندما ينتهى الخطاب يحمل
أربعة مواطنين النقالة ويمضون بالميت نحو
المدينة بخطوات بطيئة ، يتبعهم القساوسة
والجموع ، وهم يرتلون الصلاة «الذكرى على
الأجيال خالدة» .

(انتهت)

فهرس

صفحة

تقديم بقلم الدكتور محمد اسماعيل الموافى	
تخطيط دقيق	٧
مقدمة بقلم المترجم :	
جورج ثيوتوكا وجسر آرتا	
المسرح اليونانى الحديث	١٣
جورج ثيوتوكا	١٤
مسرحية جسر آرتا من خلال شخصياتها	١٨
رئيس البنائين	١٩
الزوجة	٤٣
مساعد ورئيس البنائين	٤٧
الأم العجوز	٥٣
عازف العود	٥٦
تنويه واعتراف	٦٣
جسر آرتا	٦٥
شخصيات المسرحية	٦٧
مشاهد المسرحية	٦٨
المشهد الأول	٦٩
المشهد الثانى	٨٧
المشهد الثالث	١٠٣
المشهد الرابع	١١٧
المشهد الخامس	١٣٩

ظهر في هذه السلسلة

العدد	المسرحية	المؤلف	المترجم
١	راس الآخرين	مارسيل ايميه	د. محمد عنيى هلال
٢	التوحشة	جان آنوى	الأستاذ يحيى سعد
٣	القديسة جون	برناردشو	الأستاذ محمد محبوب
٤	بلدتنا	ثورنتو وايلدر	د. محمد اسماعيل الوافى
٥	الليلة نرتحل والبحرة	لويجى بيراندلو	الأستاذ محمد اسماعيل محمد
٦	الاستثناء والقاعدة محاكمة لوكولوس	برتولد برخت	د. عبد الغفار مكاوى
٧	المادلون	البيير كامى	الأستاذ بسيم محرم (د. ريمون فرا سيس)
٨	سبع مسرحيات	يوجين اونيل	د. ميم عطية
٩	رومولوس العظيم	فريدريش درنمات	الكاتب انيس منصور
١٠	ليونى ولينا ، فويسك	جورج بوشنر	د. عبد الغفار مكاوى
١١	الشياطين	جون هوايتنج	الأستاذ محمود محمود
١٢	قطعة على نار	تيسى وليامز	د. محمد سمير عبد الحميد
١٣	مركب بلا صياد	اليخاندرى كاسونا	د. محمود على مكي
١٤	جسر آرتا «التمن الفادح»	جورج ثيوتوكا	د. نعيم عطية

تحت الطبع في هذه السلسلة

المترجم	المؤلف	المسرحية
د. طه حسين	راسين	اندرومache
د. على حافظ	ايسخيلوس	المستجيرات
د. محمد محمود السلاّمونى	يوريبيديس	هيكابى
الشاعر احمد رامى	شكسبير	روميو وجوليت
د. محمد غنيمى هلال	موليير	عدو البشر
د. محمد حسن عون	موليير	مدرسة الأزواج، سجاناريل
د. لويس مرقص	اونيل	الحداد يليق بالكتر (ثلاثية)
د. فخرى قسطندى	برناردشو	قيصر وكليوباترا
د. اخلاص عزمى		
الأستاذ احمد النادى	تشايبك	ا. ر. ا.
د. طه محمود طه	ت. س. اليوت	حفلة كوكتيل
الشاعر صلاح عبد الصبور	جان أنوى	بيكيت
الأديب سعد مكاوى		أرض النفاق
د. محمد اسماعيل الموافى	جايلز كوبر	أوكل شيء فى الحديقة
وعلى محمود		لوثر
الأستاذ نعيم جاب الله	جون اسبورن	بعد السقوط
الأستاذ على شلش	آرثر ميللر	متعة العيش
الأستاذ محمود محمود	وليم سارويان	عطيل يعود
د. نعيم عطية	كازاندزاكيس	السيد يونتيلا وتابعه
د. عبد القفار مكاوى	بريخت	الفوريلا
د. محمد اسماعيل الموافى	يوجين أونيل	

تحت الترجمة لهذه السلسلة

المترجم	المؤلف	المسرحية
يعيى حتى يعيى حتى د. على حافظ د. محمد محمود السلاّمونى وآخرون د. فؤاد ذكرى اسماعيل المهداوى د. فؤاد ذكرى محمد رجاء الدينى عبد الله فريد، شوقى الكيلانى د. شوقى السكرى د. شوقى السكرى د. عبد الله الحافظ نعمان عاشور د. عادل سلامة د. فؤاد ذكرى الشاعر محمد انهم د. لويس عوض الشاعر صلا عبد الصبور د. محمد قندال د. واداد جمال عبد الله فريد امية ابو النصر د. محمود شكرى مصطفى د. عوض جرجس د. جمال الدين الرمادى عبد العاطى جلال	مولير مولير يوريبىدىس اليونانية البر كامى البر كامى جان بول سارتر آرثر ميللر جون اسبورن جون اسبورن جون اسبورن ابسن براندين بيهان براندين بيهان كلوديل كليفورد اوريتس يوريبىدىس ت. س. اليوت هارولد بينتر هارولد بينتر شيلاديلاتى روبرت شروود ليليان هيلمان الكسندر كورنيتشوك تيسى وليامز بول فاليرى	دون جوان سائر مسرحيات المستجيرات سائر المسرحيات حالة العصار المسوسون الجلسة سرية الناشرون المرفه شهادة لا تقبل سائر مسرحيات بيت آل روزمر الشاذ الرهينه جان دارك فى انتظار اليسار اجامنون جريمة قتل فى كاتدرائية وكيل العمارة مسرحيتان الذى اوله غسل متعة الابله الثعالب الصغيرة بلاطون كريتشيت سبع مسرحيات فاوست

الدراس القومية للطبائحة والنشئة

اقرا في هذه السلسلة لهؤلاء العمالقة :

اسكيلوس	ايسن	دورنمات
سوفوكليس	برنارد شو	جان انوى
يورپيديس	ت.س. اليوت	البير كامى
ارسطوفانيس	تشيكوف	آرثر ميللر
شكسبير	لويجى برنيللو	تنسى وليامز
مارلو	يوجين اونيل	جون اسبورن
مولير	وايلدر	براندن بيهان
راسين	جان بول سارتر	او كيسى
تريستان	برخت	جايلز كوبر

وكترون عيرهم

العدد القادم : ارض النفاق - جايلز كوبر

الثن ١٠

العدد ١٤



للدار القومية للطباعة والنشر



المرجم :

— نشر بمجلة « المجلة » دراسات
الأولى بعنوان « أديب قبرصى في
مصر » والثانية بعنوان « شاعر
يونانى فى الصعيد » كما نشر
بمجلة « الشعر » دراسة من
شاعر الاسكندرية قسطنطين
كافانيس .

— نشر بمجلة « الكاتب » ترجمات
من الشعر اليونانى الحديث .

— نشر باللحق الادبى

« المساء » قصص

اليونانية فى مصر

لقصة « نيقولاى »

« الكلب القريب »

لقصة « جارتان »

القبرصية « ماريا »

— ترجم مسرحية

بعنوان « طيل يعزف »

— قدم من « البرنا

بإذاعة القاهرة قصص من

الشعراء المعاصرين فى اليونان .

— « انظر ايضا خلال العدد ٨ » .



المؤلف :

— ولد عام ١٩٠٦ ودرس القانون
والادب بجامعة اثينا وباريس
ولندن . واشتغل مديرا للمسرح
القومى اليونانى . ويعمل عضوا
فى هيئات تحرير كثير من
المجلات الادبية ، وفى كثير من
اللجان الادبية بالينا .

— ألف القصة والرواية والقصيدة
والدراسة . كما ألف المسرحية .

— قام بعدة رحلات خارج وطنه ،
وترجمت اعماله الى عدة لغات .

— من أشهر مسرحياته « نحن
الحرية » و « الاعيب الحمالة »
والحكمة » و « الكيفياديس »

— ترجمت « جرارتا » الى السويدية
والفرنسية والانجليزية والفنلندية
وأذيعت من محطات استكلام
ولندن « البرنامج الثالث »
وهلسينكى ، ولقيت نجاحا
كبيرا .

Bibliotheca Alexandrina



0429503

